﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾

تأليف

د. رجب محمود إبراهيم بخيت

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دار ركاز للنشر والتوزيع

٢٣٩
ب . ر

بخيت، رجب محمود إبراهيم.

إنا كفيناك المستهزئين/ رجب محمود بخيت .-ط١.- دسوق: دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.

١٠٩ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

تدمك: 978 – 977 – 308 – 722 – 2

١. السيرة النبوية.
٢. محمد رسول صلى الله عليه وسلم/ محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب. - ٥٧١-٦٣٢.

أ. العنوان

رقم الإيداع : ١٤١٧٦ .

الناشر : دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

دسوق - شارع الشركات- ميدان المحطة – بجوار البنك الأهلي المركز
هاتـف- فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ محمول : ٠٠٢٠١٢٧٧٥٥٤٧٢٥

E-mail: elelm_aleman2016@hotmail.com & elelm_aleman@yahoo.com

Rikazp for publishing & distributing **/ركاز للنشر والتوزيع**

rikazpublisher@gmail.com

@rikazpublisher / 0096279784602

٢٠٢٢

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل محمداً ﷺ وسلم بشيرا ونذيراً، وجعله للبشرية جمعاء سراجاً وقمراً منيراً، وأنزل عليه القرآن الكريم أفضل كتبه، وجعله خاتم أنبيائه ورسله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أمر بمحبة الحبيب محمد ﷺ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من صلى وصام، – صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم .

أما بعد ،،

فلقد تتابعت سهام الكفر والشرك على أمة الإسلام تترى، فتارةً تنال دماءَناً وتارةً تنال أموالَنا، وتارةً تنال نساءَنا وتارةً تنال أولادَنا، وتارةً تنال ديارَنا وتارةً تنال أوطانَنا، غير أن ذلك كله هينٌ إذا ما طالت سهام الكفر والغدر أحبَّ خلق الله تعالى إلينا وأكرم خلقه سبحانه وتعالى عنده، ذاك شمس النبوة ومصباح الهداية وقائد الأمة وشفيعها بإذن الله تعالى حبيبنا محمد ﷺ، حتى إذا نالت سهام الحقد النتنة مقام النبوة وتعرضت لجناب الرسالة هان عنده كل مصاب، وبات كل مصاب بعده جلل، فلا الديار ولا الأموال ولا النفوس ولا الأهلون تفي فداء رسول الله ﷺ، ولكن إلى الله المشتكى من الخَوَر والخذلان، وإلى الله المشتكى ممن يرى ويسمع ولكن لا تُبصر له عين ولا تعي له أذن، بل كالحجارة الصماء والدواب البكماء، ولو استثيرت هذه الدواب في بعض ما فيه معاشها لهبَّت ونهضت واستنهضت، فلا نامت أعين الجبناء.

والحقيقة أن الاستهزاء والسخرية خُلق من أخلاق أعداء الله، تخلّق به الكفار والمشركون، وتخلّق به المنافقون الذين احترقت أحشاؤهم على دين الله وأهله ، وصدورنا لن تشفَ وغيظ قلوبنا لن يذهب حتى نرى حكم الله تعالى نافذاً فيمن أساء لحبيبنا محمد ﷺ إنه خير مأمول وأكرم مسؤول ، فقد قال الله جل شأنه في

القرآن الكريم : ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١﴾ [سورة التوبة: الآية ٦١]، وقال الله سبحانه ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٧]

ومن سُنة الله أن من لم يُمكن المؤمنين أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإنَّ الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه ، كما قال الله سبحانه : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ٩٥ ﴾ [الحجر : ٩٤ – ٩٥].

وقد وفي الله عز وجل وعده لنبيه وأهلك المستهزئين واحداً واحداً، قد ذكرت قصص إهلاكهم في كتب التفسير والتاريخ ، وهذا – والله أعلم – مصداقاً لقول الله عزوجل : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [سورة الكوثر: الآية ٣]؛ فكُلُّ من شَنَأَهُ أو أبغضه وعاداه وسخر منه فإنَّ الله تعالى يقطع دابره ، ويمحق عينه وأثره.

والحقيقة أن مكانه الحبيب محمد ﷺ وعظمته في نفوسنا أعلى من قبّة الفلك، ولن ينال منها مثل هذا التواقح الجبان ، ولكن ما هو واجبنا ودورنا في الدفاع والانتصار لمقام الحبيب محمد ﷺ والذبّ عن شريف مقامه ؟

يا كل قلب يخفق حباً للحبيب محمد ﷺ ويا كل مهجة تتحرق شوقاً إليه ، يا كل مسلم تضج جوانحه تعظيماً وتوقيراً، وإجلالاً وتقديساً لرسول الله ﷺ هذا نداء لنصرة النبي أمام هذا التواقح الفاحش والتسفل البذيء، ولن يعدم كل غيور أن يجد له مكاناً ومكانة، وأن يبذل فيه جهداً ولو قل، وكل كثير منّا فهو في حق الحبيب محمد ﷺ قليل.

حبيبي يا رسول الله إنا فِداك	ودون عِرضِكَ كالسِّهامِ
فلن نرضى المذلّةَ في حياة	ولن نرضى الدَّنِيَّةَ في مُقامِ
فكلُ مُوَحِدٍ صَحَّتْ وتمَّتْ	عقِيدَتُهُ فِداكَ على الدَّوامِ

ستبقى رغْمَ أنفِ الغرْبِ طُـرًّا   على الأعْداءِ والحُسَّـادِ سَـامي[1]

ونحن إذ ندافع عن رسول الله ﷺ نحمي بـذلك ديننـا وعقيـدتنا ، ونؤكـد شيئاً من حبنا لرسول الله ﷺ وهذا أقل الواجب في حق نبي كريم جعـل الله محبتـه مقدمة على النفس والولد والمال والأهـل والعشـيرة ، قـال الله تعـالى: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٢٤]".

وقال ﷺ: "لا يؤمن أحـدكم حتـى أكـون أحـب إليـه مـن ولـده ووالـده والناس أجمعين "[2].

وأخيراً فإني أتقدم بخجل شديد من سيدي وقائدي وحبيبي وشـفيعي بـإذن الله يوم القيامة وفرطي على الحوض الرسول الكـريم بـأبي هـو وأمـي صـلوات الله وسلامه عليه بهذا الدفاع المتواضع عن عرضه وجنابه، وأسأل الله تعالى أن يكون ما في القلب من حبه ﷺ جابراً لما في هذا العمل في الدفاع عنه من تقصير وما أشـده، سلواي في ذلك ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ مكة معتمراً قبل أن يفتحها وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلُّـوا بـني الكفـار عـن سـبيله   اليـوم نضـربكم علـى تنزيلـه

ضـرباً يُزيـل الهـام عـن مقيلـة   ويُـذهل الخليـل عـن خليلـه

فقال عمر: يا ابن رواحة، في حَرَم الله وبين يدي رسـول الله ﷺ تقـول هـذا الشعر! فقال النبي ﷺ:" خلِّ عنه يا عمر، فوالذي نفسي بيده لَكلامه أشدُّ علـيهم من وقع النبل"[3]، وقول النبي ﷺ لحسـان بـن ثابـت رضي الله عنـه وكـان يهجـو

---

١) محمد عبد الله ولد محمد سالم ولد محمد ببَّاه ، من قصيدة بعنوان : الدفاع عن داعية السلام "صلى الله عليه وسلم"

٢) رواه البخاري

٣) صحيح ابن خزيمة ، ١٩٩/٤

المشركين ويرد عن رسول الله ﷺ إذا هجاه المشركون:" اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[1].

وقوله ﷺ لكعب بن مالك : (إِنَّ الْمُجَاهِدَ مُجَاهِدٌ بِسَيْفِهِ وَلِسَانِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَكَأَنَّمَا تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ).[2]

ربّ هذا جهد المقلّ، وقلبي	**أنت أدرى به فحقّق مرادي**
قال حسّان -ذات يومٍ- عَدِمنا	**خيلنا إن تأخّرت عن جلاد**
وأنا قلتها: عدمنا قلوباً للرشاد	**إن توارت عن حبّها**
هكذا تبرز المكارم فينا	**حين تغلي مراجلُ الحساد[3]**

واسأل الله تعالى التسديد لما يرضيه من الأقوال والأفعال، اللهم ما وافق الحق مما كتبت فمنك وحدك وبفضلك وجودك وكرمك، وما خالف الحق فمني وأنا منه بريء، والحمد لله رب العالمين.

" الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله "

الفقير إلي عفو ربه

رجب محمود إبراهيم بخيت

---

١) صحيح البخاري، ٢٢٧٩/٥

٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣ / ٧٥، ترجمة كعب بن مالك

٣) عبدالرحمن صالح العشماوي ، من قصيدة : صورة المصطفى "صلى الله عليه وسلم"

لماذا يحاربون الإسلام ويستهزئون بالنبي ﷺ

لماذا يحاربون الإسلام ويستهزئون بالنبي ﷺ

إن الغرب حينما يوجِّه الإساءةَ للحبيب محمد- صلى الله عليه وصحبه وسلم- فإنهم يوجهونها له ؛ لأنهم يستشعرون مدى ولاء المسلمين لقائدهم وقدسيته في نفوسهم، ولأنه- صلى الله عليه وسلم- هو ممثلُ الإسلام، وهو الذي جاء بالرسالةِ وقاد المسلمين، ووسَّع رقعةَ الدولةِ الإسلاميةِ التي وصلت بعده إلى الأندلس في أقلَّ من قرنٍ هجري، ولأنهم يعتبرونه الرمزَ الذي ينتسب إليه المسلمون، فإذا نجح هؤلاء في تشويهِ صورة الحبيب محمد ﷺ فإنهم بذلك ينجحون في ضرب الإسلام ككل ، ولكنْ رُبَّ ضارةٍ؛ فهم تخيلوا أن المسلمين أصبحوا هباءً منثورًا، وظنوا أنهم سيسيئون إلى مقدسات المسلمين دون أن يتحرك أحدٌ منهم لذلك، فكان الردُّ كما نراه الآن من انتفاضةٍ لكل الشعوب العربية والإسلامية، والحقيقة أن ذلك ليس هجومًا على شخص الحبيب محمد ﷺ فقط ؛ وإنما هو هجومٌ على الإسلام بصفة عامةٍ، وهذا مما يدفع البعض للتسائل باستغراب: لماذا كل هذا التطاول علي الإسلام وعلى مقام نبينا محمد ﷺ وعلي رموز وأعلام الإسلام ؟والحقيقة أن ذلك راجع لعدة أسباب نورد منها الآتي:

١. **التربية الدينية التي يربي عليها النشئ الصغير في الغرب:**

والتي يؤصلها ويغذيها كتبهم المحرفة التوراة والإنجيل المحرفان، فالحقيقة التي لا مراء فيها أن دين اليهودية النصرانية لا يعرفان أدبا مع المخالف، والواقع أن القوم في سفاهتهم وبطشهم ينطلقون من منطلق عقدي ديني وليس تصرفات فردية كما يخدعون عوام الناس.

وهذا هو الوجه الحقيقي لليهودية والنصرانية، أنهما لا يحبان أحداً، ولا يحملان وقارا (للآخر)، وليس عندهم إلا القتل والسفك إن قدرت. هذا ما يقوله التاريخ ، وما ينطق به الواقع ، والمذابح التي أقاموها للإسلام والمسلمين في شتي بقاع المعمورة شاهدة بذلك ولا سيما لحروب الصليبية والكشوف الجغرافية

الأوربية والاستعمار وغيرها الكثير والكثير وصدق الله إذ يقول: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٨].

ومعلوم أن النصارى يقدسون العهد القديم بالإضافة للعهد الجديد، ومن درس هذا الكتاب علم كثرة التجاوز والافتراء، ففيه أن الله سبحانه يندم، ويأسى وانه تصارع مع يعقوب وصرعه يعقوب، وفيه أنه ينام. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وفيه أيضاً الكذب على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ووصفهم بأقبح الصفات من الكفر والشرك وعبادة الأوثان والزنا ببناتهم وبالأخريات ووصفوهم بشرب الخمر والسرقة والمخادعة، حتى إن المسيح لم يسلم من ذلك فوصف بعقوق والدته وبشرب الخمر. وحاشا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من ذلك.

٢. **الحقد علي الإسلام ونبيه محمد ﷺ:**

فلم يحتمل الغربي أن يرى دينه يترنح وأهله ينصرفون عنه وكنائسه تعرض في المزاد،ثم يجد الإسلام لا تزيده الأيام إلا توهجاً ولا المحن إلا انتشاراً ولا التقنية إلا تقدماً ولا العلوم إلا توافقاً ولا تقادم الأعوام إلا حفظاً لمصادره وقبولا لتعاليمه. ألا يدفعه ذلك للحسد والغيرة ، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٩]

وهذا الحقد والحسد ليس وليد اليوم ولا الأمس بل هو متجذر في نفوس أهل الكتاب منذ أن بزغت شمس الإسلام ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة المائدة: الآية ٥٩]

وقـال تعـالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة النساء: الآية٥٤:٥٥]

وقـال تعـالى: مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٥].

وقـــال تعـــالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٩]

فهو ود النفس ورغبة القلب والشهوة التي تهفو إليها الأهـواء مـن وراء كـل كيد، وكل دس، وكل مراء، وكل جدال، وكل تلبيس.

إنهم يحاربون المسلمين هـذه الحـرب الشـعواء، التـي لم تضـع أوزارهـا قـط ولم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام ، منذ أن قام للمسلمين كيـان في المدينـة ، وتميزت لهم شخصية ، وأصبح لهـم وجـود مسـتقل، ناشـئ ء مـن ديـنهم المسـتقل وتصورهم المستقل ونظامهم المستقل في ظـل مـنهج الله الفريـد إنهـم يشـنون عـلى المسلمين هذه الحرب المشبوبة لأنهم قبل كـل شيء مسـلمون ولا يمكـن أن يطفئـوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم ، فيصبحوا غير مسلمين ذلك أن أهل الكتاب أكثـرهم فاسـقون ، ومـن ثـم لا يحبـون المسـتقيمين الملتـزمين مـن المسلمين والله سبحانه يقرر هذه الحقيقة في صورة قاطعة وهو يقـول لرسـوله ﷺ في السورة الأخرى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملـتهم ويقـول له في هذه السورة أن يواجه أهل الكتاب بحقيقة بواعثهم وركيزة موقفهم.

وكل هذا الحقد وهذا الحسد، وهم يعلمـون علـم اليقـين أن الحبيـب محمـد ﷺ هو خاتم وهذه الرغبة القائمة على الهـوى والحقـد والشـر، ضـلال لا شـك

فيه.فما تنبعث مثل هذه الرغبة الشريرة الآثمة عن خير ولا عن هدى. فهم يوقعون أنفسهم في الضلالة في اللحظة التي يودون فيها إضلال المسلمين. فما يحب إضلال المهتدين إلا ضال يهيم في الضلال البهيم: ﴿...وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٦٩]

إنهم يعادون المسلمين لأنهم مسلمون لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ولأن أهل الكتاب فاسقون منحرفون عما أنزله الله إليهم ، وآية فسقهم وانحرافهم أنهم لا يؤمنون بالرسالة الأخيرة وهي مصدقة لما بين أيديهم لا ما ابتدعوه وحرفوه ولا يؤمنون بالرسول الأخير وهو مصدق لما بين يديه ، معظم لرسل الله أجمعين .

الأنبياء والمرسلين ، فقد قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧٠] وقال تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ ﴾ [سورة آل عمران: الآية ٧١] وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ ﴾ [سورة البقرة: الآية١٤٦: ١٤٧]

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٢٠] إنهم يكرهون لهذه الأمة أن تهتدي. يكرهون لها أن تفيء إلى عقيدتها الخاصة في قوة وثقة ويقين. ومن ثم يرصدون جهودهم كلها لإضلالها عن هذا المنهج، والإلواء بها عن هذا الطريق.

— الصراع بين الإسلام واليهودية والنصرانية الغربية:

إذ يحمل التاريخ في ثنايا صفحاته سجلاً حافلاً بالصراع بين الإسلام والنصرانية الغربية، فلقد استقبل اليهود رسول الله ﷺ ودينه في المدينة شر ما يستقبل أهل دين سماوي رسولاً يعرفون صدقه، وديناً يعرفون أنه الحق،استقبلوه بالدسائس والأكاذيب والشبهات والفتن يلقونها في الصف المسلم في المدينة بكافة

الطرق الملتوية الماكرة التي يتقنها اليهود. شككوا في رسالة رسول الله ﷺ وهم يعرفونه؛ واحتضنوا المنافقين وأمدوهم بالشبهات التي ينشرونها في الجو وبالتهم والأكاذيب. وما فعلوه في حادث تحويل القبلة، وما فعلوه في حادث الإفك، وما فعلوه في كل مناسبة، ليس إلا نماذج من هذا الكيد اللئيم. كذلك شهد التاريخ نقض اليهود لعهودهم مرة بعد مرة وتحرشهم بالمسلمين ، مما أدى إلى وقائع بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر . كما شهد تأليب اليهود للمشركين في الأحزاب، مما هو معروف مشهور.

ثم تابع اليهود كيدهم للإسلام وأهله منذ ذلك التاريخ . كانوا عناصر أساسية في إثارة الفتنة الكبرى التي قتل فيها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتثر بعدها شمل التجمع الإسلامي إلى حد كبير.

وكانوا رأس الفتنة فيما وقع بعد ذلك بين علي رضي الله عنه ومعاوية. وقادوا حملة الوضع في الحديث والسيرة وروايات التفسير. وكانوا من الممهدين لحملة التتار على بغداد وتقويض الخلافة الإسلامية .

فأما في التاريخ الحديث فهم وراء كل كارثة حلت بالمسلمين في كل مكان على وجه الأرض؛ وهم وراء كل محاولة لسحق الدين الإسلامي؛ وهم حماة كل وضع من الأوضاع التي تتولى هذه المحاولة في كل أرجاء العالم الإسلامي!

ذلك شأن اليهود، فأما شأن الفريق الآخر من أهل الكتاب، فهو لا يقل إصراراً على العداوة والحرب من شأن اليهود.

لقد كانت بين الرومان والفرس عداوات عمرها قرون. ولكن ما إن ظهر الإسلام في الجزيرة؛ وأحست الكنيسة بخطورة هذا الدين الحق على ما صنعته هي بأيديها وسمته «المسيحية» وهو ركام من الوثنيات القديمة، والأضاليل الكنسية، متلبساً ببقايا من كلمات المسيح عليه السلام وتاريخه. حتى رأينا الرومان والفرس ينسون ما

بينهم من نزاعات تاريخيه قديمة وعداوات وثارات عميقة، ليواجهوا هذا الدين الجديد.

ولقد أخذ الروم يتجمعون في الشمال هم وعمالهم من الغساسنة لينقضوا على هذا الدين . وذلك بعد أن قتلوا الحارث بن عمير الأزدي رسول رسول الله ﷺ إلى عامل بصرى من قبل الروم وكان المسلمون يؤمنون الرسل ولكن النصارى غدروا برسول النبي ﷺ وقتلوه مما جعل رسول الله ﷺ يبعث بجيش الأمراء الشهداء الثلاثة : زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب ، وعبد الله بن رواحة في غزوة « مؤتة » فوجدوا تجمعاً للروم تقول الروايات عنه :

إنه مائة ألف من الروم ومعه من عملائهم في الشام من القبائل العربية النصرانية مائة ألف أخرى؛ وكان جيش المسلمين لا يتجاوز ثلاثة آلاف مقاتل. وكان ذلك في جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة .

ثم كانت غزوة تبوك.ثم كان جيش أسامة بن زيد الذي أعده رسول الله ﷺ قبيل وفاته؛ ثم أنفذه الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه إلى أطراف الشام؛ لمواجهة تلك التجمعات الرومانية التي تستهدف القضاء على هذا الدين!

ثم اشتعل مرجل الحقد الصليبي منذ موقعة اليرموك ، ثم الحروب الصليبية التي لم تكن هي وحدها التي شنتها الكنيسة على الإسلام ،ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها في الأندلس عندما زحفت الصليبية على القاعدة الإسلامية في أوربا ، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يعرف التاريخ له نظيراً من قبل. وكذلك تجلت في الحروب الصليبية في الشرق بمثل هذه البشاعة التي لا تتحرج ولا تتذمم؛ ولا تراعي في المسلمين إلاًّ ولا ذمة.

لقد حاولوا تدمير الإسلام في الحروب الصليبية الرهيبة ففشلت جيوشهم التي هاجمت بلاد الإسلام بالملايين، فعادوا يخططون من جديد لينهضوا.ثم ليعودوا إلينا، بجيوش حديثة، وفكر جديد. وهدفهم تدمير الإسلام من جديد .

٣. كتب المستشرقين التي تربى عليها الغرب منذ نعومة أظفاره:

فكل من اطلع على كتب المستشرقين علم ما اشتملت عليه من افتراء على الله سبحانه وتعالى وعلى أنبيائه ورسله وكتبه، ووصفه لهذه الشرائع بالتخلف والرجعية إذ هي محط سخريتهم ولمزهم، وقد خصصوا لنبينا محمد ولرسالته وكتابه وسنته من ذلك الشيء الكثير إذ شككوا في أصل رسالته وفي طريقة حفظ القرآن وفي نقل السنة ومصدريتها، وهي شبه قديمة يقلبونها بين آونة وأخرى قال تعالى﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٦﴾﴾ [سورة الفرقان: الآية:٤ :٦]

٤. الطبيعة النفسية التي جبل عليها الغرب من البغي والطغيان والتجبر:

وهم مطية كل مستكبر، وسبيل كل جبار فبعد ما تبين لهم الحق اعرضوا عنه ورغبوا فيما عداه، وحسدوا أهله، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة البقرة: الآية ١٠٥]

فمن بغيهم ما يودون أن ينزل الله علينا خيراً قط. وأخبر سبحانه عن موقفنا منهم وموقفهم منا فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٩]

٥. ضعف المسلمين وتشرذمهم في الأرض ، والضعيف لا يلتفت إليه أحد:

فقد أصبح المسلمون اليوم كالأيتام على مأدبة اللئام، الكل يسخر منهم، الكل يتجرأ عليهم، ديارهم مستباحة، ودماؤهم مباحة، وثرواتهم منهوبة، وإرادتهم مسلوبة ، ولو اقتصر الأمر عند هذا الحد لهان – على سوئه الذي لا يحتمل – لكنه تعداه إلى السخرية بدينهم ونبيهم ومعتقداتهم.

فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِّ ﷺ قَالَ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ». قَالَ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِّ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ قَالَ « أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِى قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ».قَالَ قُلْنَا وَمَا الْوَهَنُ قَالَ « حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " [1]

والوهن المقصود في هذا المقال هو مرض عضال، ووباء عام بينه لنا رسول الله ﷺ، ويكشف لنا ﷺ أعراض الوهن الذي يبدأ من الفرد، وينتهي بالمجتمع، هذا المرض الذي يصيب الأمم والشعوب فيقضي عل كيانها، ويهدم وجودها، ويسقط هيبتها، ويمحو أثرها، ويزلزل أركانها، ويحطم دعائمها، فتهوى من عليائها وكرامتها واستعلائها إلى أن تركع أمام الأمم الأخرى، وتستخذل أمام الشعوب المجاورة، وتصبح لقمة سائغة للطامعين فيها، بل يكثر الأكلة حولها، ويجتمعون على اقتسامها والقضاء عليها، كما يجتمع الجياع حول الطعام ليتناولوه، ويأخذوه، ويقتسموه، فلا يرفعون أيديهم عنه، وفي القصعة أثر لوجوده.

هذا المرض بأعراضه وأسبابه يصيب الدول في القديم والحديث، ويؤدي إلى سقوطها وانهيارها، وهو اليوم مقيم بين المسلمين، وقد حط بكلكله عليهم ونزل بهم الوهن منذ أمد، وكأن الرسول ﷺ ينظر بعين الغيب (الذي يطلعه عليه الوحي) ويصور حال المسلمين، وقد تداعت عليهم الأمم الاستعمارية، والشعوب

---

١) رواه أحمد وابو داود وسنده صحيح

المعادية وتكالبت على أرضهم وبلادهم، وجزأت أوطانهم وديارهم، وسلبت نصيباً كبيراً وعزيزاً من مقدساتهم، وتآمرت، ولا تزال تتآمر، عليهم في كل قطر وجانب، وتحيك لهم المؤامرة تلو المؤامرة للإطاحة بهم، وفرض الاستسلام عليهم، وضمان الاستذلال والاستسلام لهم، وتنوع عليهم أساليب الاستغلال والابتزاز لثرواتهم واقتصادهم، وتفرض عليهم الأفكار الخبيثة، والمبادئ البراقة، والقيم الدخيلة، والقوانين الوضعية، وتغزوهم فكرياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً في عقر دارهم، وتتقاسمهم النفوذ ومناطق السيطرة، وتتقاذفهم ذات اليمين وذات اليسار، وتحفر لهم الحفر ليسقطوا فيها، وترى القطر الواحد يوما مع الشرق ويوماً مع الغرب، وتارة يستورد أفكاره وقيمه ومواده وأسلحته من هنا، وتارة من هناك، والمسلمون اليوم في ضياع وتمزق، وتردد واضطراب، لا يعرفون ذاتاً لأنفسهم، ولا يعلمون هوية لشخصيتهم، ويجهلون السفينة التي تحملهم، وهم نائمون عن الرياح التي تتقاذفهم، وقد تكسرت السواري، وسقطت الراية، وهم في بحر لجي، في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرجوا أصابعهم لا يكادون يرونها من الحجب الكثيفة، والنظارات السوداء التي أحكم العدو ربطها على أعينهم، وشدد الخناق فيها على رقابهم، لكن أعدادهم كثيرة، وثرواتهم ضخمة، ومركزهم استراتيجي، وهم ملايين وملايين، ولكنهم غثاء كغثاء السيل، لا قيمة له، ولا يثبت على حال، ويقذفه السيل إلى الحضيض، ولذلك فقدوا هيبتهم، وطمع بهم القريب والبعيد، والقوى والضعيف، وسامهم الذل والهوان على أيدي عصابات صهيون، وجنود المرتزقة، وتسلط العملاء.

وقد شخص رسول الله ﷺ المرض، فبين أنه الوهن، ثم شرح أعراضه الظاهرة وأسبابه القريبة والبعيدة، وهي حب الدنيا، والتعلق بها، والافتتان بزينتها، والسعي وراءها، والطمع فيها، وقصور الآمال عليها، واعتبارها المبدأ والمنتهى، والظن بالخلود فيها، وحب الاستزادة من البقاء فيها، وبالتالي كراهية الموت، لأنه

يقطع هذه الآمال والأماني وكأن لسان حال القوم يردد سخافات الجاهلية من الدهريين وغيرهم، حين يقولون: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة المؤمنون: الآية ٣٧]. ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الأنعام: الآية ٢٩] ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الجاثية: الآية ٢٤]

٦. **لأن الإسلام هو الجدار الصلب الذي يصعب عليهم اختراقه :**

فانتقاص النبي ﷺ أمر قديم قِدم الإسلام، اضطلع به فريقان هما: الكافرون، والمنافقون ، اتفقا على العداوة والطعن؛ لأن دعوة الإسلام تقضي على أحلامهم وطموحهم في العلو في الأرض بغير الحق، والإفساد واتباع الهوى وعبادة الذات والمصالح الشخصية، فالإسلام يريد أن تكون الكلمة العليا في الأرض لله تعالى، والناس سواسية، لا يفضلون إلا بالتقوى، مهما تباينت أجناسهم وألوانهم ومراتبهم، والكل يجب أن يخضع لحكم الله تعالى، لا فرق بين شريف أو وضيع، وهذه الأمور لا تعجب الفريقان؛ فلذا يعادون الإسلام، والرسول الذي جاء به وبلّغه.

فأما الكافرون فعداوتهم ظاهرة، وعداوة المنافقين مبطنة، وهذان الصنفان موجودان في كل زمان، وأهدافهم هي الأهداف نفسها، ودوافعهم هي الدوافع نفسها، فكلما شعروا بخطر الإسلام على طموحاتهم في العلو والفساد أظهروا الطعن والسب والشتم بالشريعة وصاحبها.

فالعدو الكافر المحارب اليوم يمثله الصهاينة أو الأصولية الإنجيلية، التي تقود العالم إلى خططها المهلكة، فهي التي خططت لقيام دولة إسرائيل في فلسطين؛ بزعم أن المسيح عيسى عليه السلام لن يعود إلا بعد اجتماع اليهود في فلسطين، وقيام دولة إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، ولذا هم ماضون في هذه المهمة، وهم

الذين يريدون حكم العالم، تحت دعوى العولمة، وحرب الإرهاب والخارجين عن القانون الدولي.

وليس ثمة أحد يقف في طريقهم في تنفيذ تلك الخطط الإجرامية إلا حملة الإسلام وأتباع محمد ﷺ ومن هنا سبب حنقهم وطعنهم في هذا النبي الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، بقصد تشويه صورة الإسلام؛ لإضعافه والتنفير منه. وقد ظهر جليا أن الغرب يشنون الحرب على الإسلام لأنهم يرونه الجدار الصلب الذي يقف في وجه سيطرتهم على العالم واستغلالهم له فهم يرونه الجدار الوحيد أمام الاستعمار، يقول لورنس براون: "إن الإسلام هو الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي" ويقول غلادستون رئيس وزراء بريطانيا السابق : "ما دام هذا القرآن موجوداً في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوربا السيطرة على الشرق.

ويرون أن الإسلام هو الجدار الذي يقف في وجه انتشار النفوذ الشيوعي ، ويحول دون انتشار المسيحية وتمكن الاستعمار من العالم الإسلامي، ويقول أحد المبشرين: إن القوة الكامنة في الإسلام هي التي وقفت سداً منيعاً في وجه انتشار المسيحية ، وهي التي أخضعت البلاد التي كانت خاضعة للنصرانية.

ويرون أن الإسلام هو الخطر الوحيد أمام استقرار الصهيونية وإسرائيل: يقول بن غوريون، رئيس وزراء إسرائيل سابقاً: إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي محمد جديد [1] .

٧. **ولأنهم يرون في الإسلام العدو الوحيد:**

إنهم لا يرون الإسلام جداراً في وجه مطامعهم فقط، بل يعتقدون جازمين أنه الخطر الوحيد عليهم في بلادهم ، يقول لورانس براون: كان قادتنا يخوفننا بشعوب مختلفة، لكننا بعد الاختبار لم نجد مبرراً لمثل تلك المخاوف. كانوا يخوفنا بالخطر اليهودي، والخطر الياباني الأصفر، والخطر البلشفي.

---

١١) جلال العالم (عبد الودود يوسف الدمشقي) ، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٤ م ، ص٣٣

لكنه تبين لنا أن اليهود هم أصدقاؤنا، والبلاشفة الشيوعيون حلفاؤنا، أما اليابانيون، فإن هناك دولاً ديمقراطية كبيرة تتكفل بمقاومتهم.

لكننا وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام، وفي قدرته على التوسع والاخضاع، وفي حيويته المدهشة.

ويقول المستشرق غاردنر: إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوربا.

ويقول هانوتر وزير خارجية فرنسا سابقاً: لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر.

ويقول البر مشادر: من يدري؟! ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين، يهبطون إليها من السماء، لغزو العالم مرة ثانية، وفي الوقت المناسب.

ويتابع: لست متنبئاً، لكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة .. ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها.إن المسلم قد استيقظ، وأخذ يصرخ، ها أنذا، إنني لم أمت، ولن أقبل بعد اليوم أن أكون أداة تسيرها العواصم الكبرى ومخابراتها.

ويقول أشعيا بومان: إن شيئاً من الخوف يجب أن يسيطر على العالم الغربي من الإسلام، لهذا الخوف أسباب، منها أن الإسلام منذ ظهر في مكة لم يضعف عددياً، بل إن أتباعه يزدادون باستمرار، من أسباب الخوف أن هذا الدين من أركانه الجهاد.

ويقول أنطوني ناتنج في كتابه "العرب": منذ أن جمع محمد ﷺ أنصاره في مطلع القرن السابع الميلادي، وبدأ أول خطوات الانتشار الإسلامي، فإن على العالم الغربي أن يحسب حساب الإسلام كقوة دائمة، وصلبة، تواجهنا عبر المتوسط.

ويقول مسؤول في وزارة الخارجية الفرنسية عام ١٩٥٢: ليست الشيوعية خطراً على أوربا فيما يبدو لي، إن الخطر الحقيقي الذي يهددنا تهديداً مباشراً وعنيفاً هو الخطر الإسلامي، فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي، فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص بهم. ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة، فهم جديرون أن يقيموا قواعد عالم جديد، دون حاجة إلى إذابة شخصيتهم الحضارية والروحية في الحضارة الغربية، فإذا تهيأت لهم أسباب الإنتاج الصناعي في نطاقه الواسع، انطلقوا في العالم يحملون تراثهم الحضاري الثمين، وانتشروا في الأرض يزيلون منها قواعد الحضارة الغربية، ويقذفون برسالتنا إلى متاحف التاريخ.

وقد حاولنا نحن الفرنسيين خلال حكمنا الطويل للجزائر أن نتغلب على شخصية الشعب المسلمة، فكان الإخفاق الكامل نتيجة مجهوداتنا الكبيرة الضخمة.

إن العالم الإسلامي عملاق مقيد، عملاق لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافاً تاماً، فهو حائر، وهو قلق، وهو كاره لانحطاطه وتخلفه، وراغب رغبةً يخالطها الكسل والفوضى في مستقبل أحسن، وحرية أوفر.

فلنعط هذا العالم الإسلامي ما يشاء، ولنقو في نفسه الرغبة في عدم الإنتاج الصناعي، والفني ، حتى لا ينهض، فإذا عجزنا عن تحقيق هذا الهدف، بإبقاء المسلم متخلفاً، وتحرر العملاق من قيود جهله وعقدة الشعور بعجزه، فقد بؤنا بإخفاق خطير، وأصبح خطر العالم العربي، وما وراءه من الطاقات الإسلامية الضخمة خطراً داهماً ينتهي به الغرب، وتنتهي معه وظيفته الحضارية كقائد للعالم [1].

أضف إلي ذلك التَّحَلُّلُ والتَّفَسُّخُ والتَّنَصُّلُ منْ أحكامِ الشَّرعِ وعدمُ الاعتزازِ والفخرِ بالانتسابِ لهذهِ الأُمَّة وللنَّبِيِّ الكريمِ ﷺ سواء من كان في مجال السياسة أو في مجال الإعلام أو من يعيش مع الغرب في بلاد الغرب كمقيمين أو زوار.

---

١) جلال العالم (عبد الودود يوسف الدمشقي) ، قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، ص٣٨-٣٩

ولا ننسي الصَّمْتُ المُطْبِقُ مِنْ قِبلِ إعلامِ المسلمينَ وواجهتِهِم ولسانِهِم والمتحدِّثِ النَّاطقِ في العالمِ معَ كُلِّ الهجماتِ المتكررةِ على الإسلامِ وَنَبِيِّ الإسلامِ وقرآنِنا، بل -وللأسفِ- فإن وسائل الإعلام تَشُنُّ حرباً على دينِ الإسلامِ بأموال المسلمينَ. ألم تُمَجِّدْ في إعلامُنَا رواياتُ الرَّذيلةِ التي يُسْتَهْزَأ فيها بدينِ اللهِ وبرسولِ اللهِ ﷺ ؟ ألم تُمَجِّدْ في إعلامُنَا رواياتُ التَّمردِ على الشَّرعِ وعلى هديِ القرآنِ وسمتِ المسلمينَ .

فكيفَ والحالةُ هذه يُكِنُّ الأعداءُ لنا الاحترامَ.

﴿...قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ١١٨﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٨]

إنها صورة كاملة السمات ، ناطقة بدخائل النفوس ، وشواهد الملامح ، تسجل المشاعر الباطنة ، والانفعالات الظاهرة ، والحركة الذاهبة الآيبة . وتسجل بذلك كله نموذجاً بشرياً مكروراً في كل زمان وفي كل مكان. ونستعرضها اليوم وغدا فيمن حول الأمة المسلمة من أعداء . يتظاهرون للمسلمين - في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم - بالمودة. فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة . وينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال، ولا يقصرون في إعنات المسلمين ونشر الشوك في طريقهم ، والكيد لهم والدس، ما واتتهم الفرصة في ليل أو نهار.

وما من شك أن هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم هذا الرسم العجيب، كانت تنطبق ابتداء على أهل الكتاب المجاورين للمسلمين في المدينة؛ وترسم صورة قوية للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين ، وللشر المبيت، وللنوايا السيئة التي تجيش في صدورهم؛ في الوقت الذي كان بعض المسلمين ما يزال مخدوعاً في أعداء الله هؤلاء ، وما يزال يفضي إليهم بالمودة ، وما

يزال يأمنهم على أسرار الجماعة المسلمة؛ ويتخذ منهم بطانة وأصحاباً وأصدقاء ، لا يخشى مغبة الإفضاء إليهم بدخائل الأسرار .

فجاء هذا التنوير، وهذا التحذير، يبصر الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر، ويوعيها لكيد أعدائها الطبيعيين، الذين لا يخلصون لها أبداً، ولا تغسل أحقادهم مودة من المسلمين وصحبة.ولم يجيء هذا التنوير وهذا التحذير ليكون مقصوراً على فترة تاريخية معينة، فهو حقيقة دائمة، تواجه واقعاً دائماً.كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينا من حاضر مكشوف مشهود.

والمسلمون في غفلة عن أمر ربهم : ألا يتخذوا بطانة من دونهم . بطانة من ناس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوسيلة وألايجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة. المسلمون في غفلة عن أمر ربهم هذا يتخذون من أمثال هؤلاء مرجعاً في كل أمر ، وكل شأن ، وكل وضع ، وكل نظام ، وكل تصور ، وكل منهج ، وكل طريق!

والمسلمون في غفلة من تحذير الله لهم،يوادون من حاد الله ورسوله؛ ويفتحون لهم صدورهم وقلوبهم . والله سبحانه يقول للأمة المسلمة الأولى كما يقول للأمة المسلمة في أي جيل﴿ **وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ** ﴾ [سورة آل عمران: الآية ١١٨].[١]

كل العداوات قد ترجى مودته   إلا عداوة من عاداك في الدين

---

١) وفي ظلال القرآن ، ١ /٤٢٢

لماذا نغضب للحبيب محمد ﷺ وندافع عنه ؟



لماذا نغضب للحبيب محمد ﷺ وندافع عنه؟

حب الله و رسوله موجود في قلب كل مؤمن لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمناً ، و تظهر علامات حبه لله و لرسوله إذا أساء أحد لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، أو ذكره بما لا يليق به ، فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه و أمه، والدفاع عن الحبيب محمد ﷺ وعن الإسلام لمن تمكن منه فرض واجب.

١. لأن من حقوق الحبيب محمد صلي الله عليه وسلم علي أمته الدفاع عنه ونصرته :

فلقد أوجب الله على الأمة نصرة نبيه ﷺ والدفاع عنه، فتعزيره ﷺ يتضمن معنى النصرة والتعظيم. فواجب على الأمة أن تنصر الله ورسوله، وأن تنتصر لله ورسوله، وإذا كان نصر آحاد المسلمين واجباً، لقوله ﷺ: " انصر أخاك ظالما أو مظلوماً "[1] . وقوله عليه الصلاة والسلام: " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته " [2].

فكيف لا يكون نصر الرسول ﷺ من أوجب الواجبات ، بل حقه أن يفدى بالأنفس والأموال وأن يؤثر بكل عزيز وغال .

قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ.. ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢٠]

فحرم الله على المؤمنين التخلف عن نصرة نبيه والرغبة بالأنفس عنه، وأوجب على المؤمنين نصرته.

---

١) أخرجه البحاري في كتاب المظالم . باب : أعن أخاك ظالما أو مظلوما ٣ / ١٦٨ . والإمام أحمد في المسند، ٣ / ٩٩ .

٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم . باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه ٣ / ١٨٦ .

قولــه تعــالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة الأعراف: الآية ١٥٧]

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ . . ﴾[سورة التوبة: الآية ٤٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ . . . ﴾ [سورة الصف: الآية ١٤]

وامتــدح الله المهــاجرين بقولــه تعــالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [سورة الحشر: الآية ٨]

كما أثنى على الأنصار بقولـه: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾[سورة الأنفال: الآية ٧٤]

ونصر الرسول ﷺ يشمل نصـره باللسان والسنان والبنان ، بالقول والفعل.

نصراً له في ذات نفسه حمايـة لعرضـه ، وصـونا لحرمتـه، وإرغامـا لأعدائـه ومبغضيه، وانتصاراً له من كل من يؤذيه،وإجلالا لمقام النبوة من أي قدح أو عيب.

وقد أجمع أهل العلم على وجوب قتل من سب الرسول ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرض بـه أو شـبهه بشـيء عـلى طريق السب له والإزراء عليه أو التحقير لشأنه.

فحكم من أتى بـذلك أن يقتـل بـلا اسـتتابة لأنـه آذى رسـول الله ﷺ بـما يستوجب إهدار دمه إن كان مسلماً، ونقض عهده وقتله إن كـان ذميـاً [1] كـل ذلـك حماية لعرضه ﷺ وصوناً لمكانته ومنزلته.

ومن نصر الرسول ﷺ نصـر سنته والذب عن شريعته ودفع كيد الكائدين وطعن الطاعنين في سنته وسيرته ، برد شبههم ودحض مفترياتهم وإظهار ما جاء بـه الرسول ﷺ من الهدى ودين الحق.

---

١) الشفا ٢ / ٢١٤ وما بعدها . والصارم المسلول ص ٣ وما بعدها ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

٢. **لأن ترك النصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه والتخاذل عنها تمكين لأعداء الإسلام من الطعن فيه وتشويهه وإضعاف شوكته وانتهاك حرماته وإذهاب هيبة النبي ﷺ من النفوس:**

ولا يكون ذلك إلا إذا ترك الجهاد في سبيل الله ، وذهبت الغيرة على محارم الله من القلوب ، حينما يكون الرضى بالذل والهوان حبا للدنيا وكراهية للموت وهذا هو حال المسلمين اليوم . فالانتصار لرسول الله ﷺ.

حق على كل من آمن بالله واتبعه وزعم أنه يحبه، فمن ادعى حبه ولم ينصره وينتصر له فهو كاذب في دعواه.

فمقتضى الحب الصحيح أن تنصره وتفديه بالنفس والمال وأن تغار على حرمات الله أن تنتهك ، تلك هي أهم جوانب تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره.

وترك النصرة لرسول الله ﷺ ودينه والتخاذل عنها تمكين لأعداء الإسلام من الطعن فيه وتشويهه وإضعاف شوكته وانتهاك حرماته وإذهاب هيبة النبي ﷺ من النفوس.

ووجوبُ نُصرةِ الرَّسولِ ﷺ والدِّفاعِ عنهُ على كُلِّ مسلمٍ يشهدُ أنَّ لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ الله بقدرِ استطاعتهِ ، وأنَّ التَّخاذلَ والجُبنَ عنْ نصرتهِ طمعاً في دنيا أو خوفاً منْ مخلوقٍ فهو إثمٌ وذنبٌ عظيمٌ ، وكُلُّ إنسانٍ بحسبِ قدرتهِ وطاقتهِ ، وما يجبُ على العالِمِ غيرُ ما يجبُ على العامِيِّ ، وعلى الحاكمِ والمسؤولِ والأميرِ والوزيرِ ما لا يجبُ على غيرِهم ، وعلى منْ يتكلمُ لغةَ القومِ ويستطيعُ إبلاغَ الاستنكارِ يجبُ عليهم ما لا يجبُ على غيرِهم.

كما أنَّ السُّكوتَ عنْ سَبِّ الرَّسولِ وانتقاصِه هو سببٌ لضياعِ الدِّينِ وسببٌ لسقوطهِ منْ أعينِ المسلمينَ وغيرِ المسلمينَ، يقولُ شيخُ الإسلامِ : "أمَّا انتهاكُ عِرْضِ رسولِ الله ﷺ فإنَّهُ منافٍ لدِّينِ الله بالكليةِ ، فإنَّ العرضَ متى انتُهكَ، سقطَ الاحترامُ والتعظيمُ ، فسقطَ ما جاءَ بهِ منَ الرِّسالةِ، فبطَلَ الدِّينُ ، فقيامُ المِدْحَةِ

والثَّناءِ عليهِ والتَّعظيمِ والتوقيرِ لهُ قيامُ الدِّين كُلِّهِ، وسقوطُ ذلكَ سقوطُ الدِّينِ كُلِّهِ ، وإذا كانَ ذلكَ كذلكَ وجبَ علينا أنْ نَنْتَصِرَ لهُ مِمنْ انتهكَ عرضهُ والانتصارُ له(١).

٣. من حقوق الحبيب محمد ﷺ علي أمته تعظيمه ﷺ وتوقيره والأدب معه وإلزام غيرها من الأمم بذلك :

تعظيم النبي ﷺ هو ما يقتضيه مقام النبوة والرسالة من كمال الأدب وتمام التوقير ، وهو من أكد حقوقه صلى الله عليه وسلم على أمته، كما أنه من أهم واجبات الدين، والتي يجب علي أمته أن تؤديها إليه وتفرضها علي غيرها من الأمم، وتلزمها آحاد الناس ، فضلا عن منع الإساءة إليه ومعاقبة من يقوم بذلك .

وتعظيم النبي ﷺ يكون بالقلب، واللسان والجوارح، فالتعظيم بالقلب هو ما يستلزم اعتقاد كونه رسولا اصطفاه الله برسالته ، وخصه ، وأعلى قدره ، ورفع ذكره ، وفضله على سائر الخلق أجمعين ، كما يستلزم تقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين .

أما التعظيم باللسان فيكون بالثناء عليه بما هو أهله ، مما أثنى به على نفسه ، أو أثنى به عليه ربه من غير غلو ولا تقصير ، ويدخل في ذلك الصلاة والسلام عليه، كما يشمل الأدب في الخطاب معه والحديث عنه ﷺ.

وقد أوجب الله على الأمة كلها تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والأدب معه ، وفرض ذلك علي غيرها من الأمم ، وعلي آحاد الناس ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾ [سورة الفتح: الآية ٨:٩].

فالتسبيح لله عز وجل والتعزير والتوقير للنبي ﷺ

---

١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ص ٢١١

قال ابن جرير: معنى التعزير في هذا الموضع : التقوية والنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال[1].

يقول ابن تيمية : التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه ، والتوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[2].

وأمَّا سَابُّهُ ومُؤْذِيهُ والُمستهزئ بِهِ فهو في أحطِّ منزلةٍ وأخَسِّ مرتبةٍ ، فإنْ كانَ مسلماً فإنَّهُ يُصبِحُ مُرتداً بإجماعِ أهلِ العلمِ ، ويُقتلُ كذلكَ بالإجماعِ ولا يُعلمُ لهُ مُخالفٌ بينَ علماءِ المسلمينَ ، وإنَّ كانَ معاهَداً أو ذِمِّياً أو مستأمناً فإنَّ عهدهُ مُنتقِضٌ ويستحقُ أنْ تُضربَ عُنُقُهُ بالسَّيفِ انتصاراً لرسولِ الإسلامِ ونَبِيِّ الأنامِ ، كيفَ لا وربُّنا جلَّ في عُلاه يقولُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٧]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٦١]، واللهُ يقولُ: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢] واللهُ سبحانهُ قد تكفَّلَ بصيانةِ عرضِ النّبيِّ والانتقامِ لهُ فقالَ ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة الحِجر: الآية ٩٤:٩٥] .

وفي" الصحيحين" عنْ أبي هريرة قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: " ألا ترونَ كيف يَصْرِفُ الله عنِّي شَتْمَ قريشٍ ولعنَهم، يشتمون مُذَمَّماً، ويلعنون مُذَمَّماً، وأنا مُحَمَّدٌ!". واللهُ سبحانهُ بيَّنَ أنَّ مُبْغِضَ النَّبيِّ ﷺ هو الأقطعُ الخاسرُ الذَّليلُ، فقالَ جلَّ شأنهُ {إنَّ شانِئَكَ هُوَ الأبترُ}، ومنْ أوجهِ الكفايةِ أنَّ يُكْرِمَ اللهُ ويُنْعِمَ على بعضِ

---

١) تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري . ط ٢ ، مصطفى الحلبي . القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ، ٢٦ / ٧٥ .

٢) ابن تيمية ، الصارم المسلول على شاتم الرسول ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٨ هـ ، ص ٤٢٢ .

عبادهِ بالذَّوْدِ والدِّفاعِ عنْ نبيهِ بكُلِّ ما يستطيعُ وهي مرتبةٌ عظيمةٌ وشرفٌ كبيرٌ لكُلِّ منْ تصدَّى للدِّفاع عنْ النَّبيِّ ﷺ فاللهُمَّ شَرِّفْنَا بالدِّفاعِ عنْ نبيكَ الكريمِ ﷺ.

يقولُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية "إنَّ اللهَ فرضَ علينا تعزيرَ رسولِهِ وتوقيرِهِ، وتعزيرُهُ: نَصْرُهُ ومَنْعُهُ، وتوقيرُهُ: إجلالهُ وتعظيمهُ، وذلكَ يُوجِبُ صَوْنَ عرضهِ بكُلِّ طريقٍ، بل ذلكَ أولى درجاتِ التعزيرِ والتوقيرِ، فلا يجوزُ أن نُصالِحَ أهلَ الذِّمةِ على أنْ يُسْمِعونا شَتْمَ نبينا ويُظْهِروا ذلكَ، فإنَّ تمكينَهُم منْ ذلكَ تركٌ للتعزيرِ والتَّوقيرِ. إنَّ نصرَ رسولِ الله ﷺ فرضٌ علينا، لأنَّهُ منَ التَّعزيرِ المفروضِ، ولأنَّهُ منْ أعظمِ الجهادِ في سبيلِ الله، ولذلكَ قالَ سبحانَهُ: {مالكم إذا قيلَ لكم انفروا في سبيلِ الله اثَّاقلتم إلى الأرض} إلى قوله: " إلا تنصروه فقد نصره الله". ومنْ أعظمِ النَّصرِ حمايةُ عرضهِ ممن يُؤذِيه."[1].

٤. لأن من يتخلف عن نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه يكون من الفاسقين:

قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة التوبة: الآية ٢٤].

فلقد توعد الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله صلي الله عليه وسلم نصرته والدفاع عنه والجهاد في سبيله بقوله: ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ ﴾ ومعلوم أن الله لا يتوعد أحدا بمثل هذا الوعيد الشديد إلا على ترك واجب، أو فعل محرم. فعلم بذلك أنه يجب على كل مؤمن أن يكون الله ورسوله، والجهاد في سبيله أحب إليه من الأهل والإخوان والأموال والأوطان.

يقول القاضي عياض مستدلا بهذه الآية: فكفى بهذا حضا وتنبها ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها ﷺ إذ

---

١) الصارم المسلول، ٢/٣٩٤

قرع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله [1].

وقد ذكر الله في هذه الآية ثمانية أصناف وهم الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال المكتسبة والتجارات والمساكن والديار. وهذه الأصناف تمثل بمجموعها كافة الروابط الاجتماعية والاقتصادية وعليها مدار مصالح الخلق ومعايشهم. وهي التي تجذب الإنسان إلى الأرض وتثقله عن الجهاد في سبيل الله ما لم يكن حب الله ورسوله مستعليا في قلب المسلم على كل هذه الروابط والمصالح.

ومن رحمة الله عز وجل أنه لم يذم حب الأهل والأقارب والأزواج ولا حب المال المتكسب والمساكن ولم ينه عن ذلك. وإنما جعل من مقتضى الإيمان إيثار محبة الله ورسوله على حب هذه الأنواع، وكذلك تقديم الجهاد إذا وجب عليها.

وهذا هو حال المؤمنين الصادقين في حبهم لله ورسوله [2].

٥. لأن الإساءة لصاحب الشريعة إساءة للشريعة ذاتها والذبّ عن الشريعة واجب على كل مسلم بما يستطيع:

فهذا الذي يسب النبي ﷺ لم يكن ليطعن فيه لولا الشريعة التي حملها وبلّغها من عند الله تعالى، فلو كان شخصًا كسائر الناس لم يتوجّه إليه بالطعن، فما طعن فيه إلا كاره وباغض لهذا الدين؛ فنصرته إذن من نصرة الله تعالى ونصرة دينه، ليس نصرة لذاته، قال تعالى: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمًا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمۡ

---

١) الشفا، ٢ / ١٨ .

٢) محمد رشيد رضا، انظر تفسير المنار، ط٢، دار المعرفة، بيروت، ١٠ / ٢٢٥ - ٢٤٢.

﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة: الآية ١٢:١٥].

كما أن عقيدة بغض الكفار والبراءة منهم فرضت لأن الله يأمرنا بأن نبغض كل من يبغض الله ورسوله ودينه ونعادي كل من يعادي الله ورسوله ودينه فهي حقيقة العبودية والمحبة الصادقة لله ولرسوله ودينه ، وهي حاجز نفسي رباني يجعل المسلم اقدر الناس على التعامل مع غير المسلمين من الكفار والملحدين مع الحفاظ على دينه وعقيدته فالإسلام لم يحرم العدل والإحسان في المعاملة لغير المسلم الذي لم يحاربنا او يعتدي علينا وعلى مقدساتنا ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: الآية ٨]

٦. الكلاب تغضب لرسول الله ﷺ :

إن كانت الكلاب تغضب لمن ينتقص شخص الرسول الكريم. فماذا يفعل المليار ونصف مليار ممن أنقذهم الله به من الظلمات، وأخرجهم إلى النور على يديه؟! وماذا سنقول لنبينا ﷺ حينما نلقاه على الحوض؟!النعد للسؤال جوابا من الآن [1] انظر إلى هذا الخبر وتدبره. تجد العجب العجاب، يرويه حافظ الدنيا ابن حجر العسقلاني في كتابه "الدرر الكامنة": "كان النصارى ينشرون دعاتهم بين قبائل المغول طمعا في تنصيرهم، وقد مهد لهم الطاغية "هولاكو" سبيل الدعوة بسبب زوجته الصليبية "ظفرخاتون"، وذات مرة توجه جماعة من كبار النصارى لحضور حفل مغولي كبير عقد بسبب تنصر أحد أمراء المغول، فأخذ واحد من دعاة النصارى في شتم ﷺ وكان هناك كلب صيد مربوط ، فلما بدأ هذا الصليبي الحاقد في سب النبي ﷺ زمجر الكلب وهاج، ثم وثب على الصليبي وخمشه بشدة، فخلصوه منه بعد جهد.

---

١) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ،١/ ٢٢

فقال بعض الحاضرين: هذا بكلامك في حق محمد ﷺ

فقال الصليبي: كلا، بل هذا الكلب عزيز النفس رآني أشير بيدي، فظن أني أريد ضربه، ثم عاد لسب النبي ﷺ وأقذع في السب، عندها قطع الكلب رباطه ووثب على عنق الصليبي وقلع زوره في الحال، فمات الصليبي من فوره، فعندها أسلم نحو أربعين ألفا من المغول" [1].

٧. من استغضب فلم يغضب فهو حمار :

فالإنسان مجموعة من الأحاسيس والمشاعر، فلابد أن يتأثر بما يدور حوله ويكون له رد فعل عليه، والميت هو الذي لا يوجد لديه ردود أفعال، كما قال الشاعر:

جرحوه فما تألم جرحا   ما لجرح بميت إيلام

من لم يغضب من الإساءة للحبيب محمد ﷺ فقد فقد من الفضائل الشجاعة، والأنفة والحمية والدفاع والأخذ بالثأر والغيرة، فإن هذه الخصال نتائج الغضب، فمن فقد الغضب فقد فقد أس الفضائل الشجاعة، وعند فقد الشجاعة تكون المهانة، ومن المهانة يكون سفساف الأخلاق ورذالة الطباع، فلا يبقى لسائر فضائله موقع [2] .

إذ من الغضب ما يكون محمودا بل ما يكون واجباً، وهو الغضب لله -عز وجل-، وقد كان رسول الله ﷺ لا يغضب لنفسه، ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء.

وقديماً قال ناصر السنة الإمام الشافعي -لله دره-: " من استُغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استُرضي فلم يرضَ فهو شيطان [3].

---

١) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ٣/ ٢٠٢

٢) أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ) ، سراج الملوك ، ط عام ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م ، ص ٨٦

٣) ابن عساكر ، تاريخ دمشق، ٥١/ ٤١٤، وسير أعلام النبلاء ،٢٥١/٨

في أثناء فتنة خلق القرآن التي امتحن فيها العلماء ومات بعضهم في الأغلال والقيود، يقول أبو معمر القطيعي -رحمه الله: "لما أُحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أُحضر، فلما رأى الناس يجيبون، وكان رجلا لينًا، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين.

فقلت: إنه قد غضب لله، فقلت: أبشر، فعن أبي سلمة، قال: كان من أصحاب رسول الله ﷺ من إذا أريد على شيء من أمر دينه، رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون ."[1] يعني من شدة الغضب غيرة على حرمات الله تبارك وتعالى.

فالغضب وُصف به الرب -تبارك وتعالى، فالله يغضب، والنبي ﷺ كان يغضب، فهي صفة كمال وعادمها بالكلية ناقص، لكن المقصود بالذم هو سرعة الغضب الذي لا يزمُّه صاحبه ولا يكظمه فيصدر منه ما لا يليق، إذا غلب الغضب على الإنسان أثر ذلك في عقله فتكون تصرفاته غير موزونة، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يقضي القاضي وهو غضبان[2]

٨. أرفع عمل ووسام أن ندافع عن رسولنا ﷺ:

لله در من يدافع عن رسول الله ﷺ ويكون من أنصار الله ورسوله، هذا موضع كريم يرفعنا إليه الله، وهل أرفع من مكان يكون فيه العبد نصيراً للرب وللرسول ﷺ ؟! إن هذه الصفة تحمل من التكريم ما هو أكبر من الجنة والنعيم .. فما أجدر أتباع محمد ﷺ أن ينتدبوا لهذا الأمر الدائم!

وطوبى لمن يدافع عن رسول الله ﷺ فله نصيب من قول رسول الله ﷺ لحسان:"إن روح القدس[3] لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله"[4].

---

١) "سير أعلام النبلاء" للذهبي، ٢٣٨/١١

٢) أخرجه البخاري، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، برقم (٧١٥٨)، ومسلم، كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان

٣) روح القدس: جبريل -عليه السلام -.

٤) رواه مسلما عن عائشة.

وقولـه ﷺ : "إن الله يؤيـد حسـان بـروح القـدس مـا نـافح عـن رسـول الله"[1]

وقوله ﷺ "هجاهم حسان فشفى واشتفى[2] " [3].

نعم إن أعراضنا ودماءنا وأنفسنا وأهلينا فداء لرسول الله ﷺ.

عرضي فدا عـرض الحبيب محمد　　وفـداه مهجـة خـافقي وجنـاني

وفـداه مهجـة خـافقي وجـنـاني　　وفداه ما نظرت لـه العينـان [4]

---

١) صحيح: رواه أحمد في "مسنده"، والترمذي عن عائشة، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" برقم (١٨٦١).

٢) شفى: أذهب غيظ المؤمنين، واشتفى: مزق الكافرين.

٣) رواه مسلما عن عائشة.

٤) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ، ١/ ٢٤

﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾عاقبة المستهزئين

(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) عاقبة المستهزئين

قــال تعــالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٥٧]" لعنهم ": واللعن هو إن إيـذاء النـاس لله وللنبي ﷺ بشعاً شنيعاً ملعوناً قبيحاً ويزيده بشاعة وشناعة أنـه إيـذاء مـن عبيـده ومخاليقه، وهم لا يبلغون أن يؤذوا الله، إنـما هـذا التعبـير يصـور الحساسـية بإيـذاء رسوله، وكأنما هو إيذاء لذاته جل وعلا، فما أفظع! وما أبشع! وما أشنع!.

قال ابن القيم: "وليس أذاه سبحانه من جنس الأذى الحاصـل للمخلـوقين، كما أن سخطه وغضبه وكراهته ليست من جنس ما للمخلوقين"[1].

الطرد من رحمة الله سبحانه، والعرب يقولون: "لعنت الكلب"، أي: طردته. وكذلك: "لعنت الذئب"، ويقال للذئب: "اللعين".

والذين يؤذون رسول الله ﷺ ملعونون في الدنيا والآخـرة، أي: مطـرودون من رحمة الله فيهما، أما الطرد من رحمة الله في الدنيا، فإنه طرد من دائرة الإيمان الـذي هو قرار وأمن في القلوب، وراحة من عذاب الشـك واليـأس والحـيرة، والطـرد في الدنيا حرمان النفس من المعرفة الذكية في القلوب، وهي معرفة الله، ومعرفة الـنفس مبدء ومعادا، ثم إنهم في الآخرة لا يعاقبون بالطرد من الرحمة فحسب، وإنما يجـدون عذابا يهينهم ويستذلهم، قد أعده الله بجلاله لهم، غضباً عليهم، واستنكارا لموقفهم، ونلحظ هنا أنهم في الدنيا يعاقبون عقوبة سلبية، وهي الطـرد مـن الرحمـة فحسـب، وفي الآخرة يعاقبون عقوبتين، عقوبة سلبية، وهي الطرد من الرحمـة، وهـذه عقوبـة قاسية حين ينظرون إلى الذين فتحت لهم أبواب الرحمة وهنئوا برضوانه سبحانه، ثم هناك عقوبة أخرى، وهي العذاب المذل الذي أعده الله لهم"[2].

---

١) الصواعق المرسلة ، ٤/ ١٤٥٠ ـ ١٤٥١

٢) دكتور محمد محمد أبو موسى، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، مكتبة وهبة، مصر، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [سورة الكوثر: الآية ٣] إن مبغضك -يا محمد- وعدوك هو الأبتر. يعني بالأبتر: الأقل الأذل المنقطع دابره الذي لا عقب له . عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم، ألا ترى هذا الصنبور المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية!! فقال: أنتم خير منه . قال: فنزلت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ يرد الله الكيد على كائديه، ويؤكد الله سبحانه أن الأبتر ليس هو محمدا صلى الله عليه وسلم إنما هم شانؤوه وكارهوه.

ولقد صدق فيهم وعيد الله، فقد انقطع ذكرهم وانطوى، بينما امتد ذكر محمد وعلا، ونحن نشهد اليوم مصداق هذا القول الكريم، في صورة باهرة، واسعة المدى كما لم يشهده سامعوه الأولون.

إن الإيمان والحق والخير الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه لا يمكن أن يكون أبتر، فهو ممتد الفروع عميق الجذور، وإنما الكفر والباطل والشر هو الأبتر مهما ترعرع وزها وتجبر.

إن مقاييس الله غير مقاييس البشر، ولكن البشر ينخدعون ويغترون فيحسبون مقاييسهم هي التي تقرر حقائق الأمور! وأمامنا هذا المثل الناطق الخالد.

فأين الذين كانوا يقولون عن محمد صلى الله عليه وسلم قولتهم اللئيمة، وينالون بها من قلوب الرعاع أتباع كل ناعق، ويحسبون أنهم قد قضوا على محمد صلى الله عليه وسلم وقطعوا عليه الطريق، أين هم؟ وأين ذكراهم؟ وأين آثارهم؟ إلى جوار الكوثر من كل شيء، ذلك الذي أوتيه من كانوا يقولون عنه: الأبتر؟!

---

١) إسناده صحيح: رواه البزار، وأخرجه ابن جرير (٣/ ٣٣٠) وقال ابن كثير: إسناده صحيح.

إن الدعوة إلى الله والحق والخير لا يمكن أن تكون بتراء، ولا يمكن أن يكون صاحبها أبتر، وكيف وهي موصولة بالله الحي الباقي الأزلي الخالد؟ إنما يبتر الكفر والباطل والشر ويبتر أهله، مهما بدا في لحظة من اللحظات أنه طويل الأجل ممتد الجذور. وصدق الله العظيم. وكذب الكائدون الماكرون.

إن هذه الأرض، بأركانها الأربعة، وقاراتها الخمس، وملياراتها الستة، وفي دورات أيامها السبعة، لتشهد بأن اسم النبي محمد ﷺ يتردد على مدار ساعات اليوم، بل دقائق الساعة، بل ثواني الدقيقة، بل أجزاء أجزاء الثانية. يتردد اسم محمد ﷺ كل لحظة تحت كل سماء، فما من نسمة مسلمة في أرجاء العالم المملوء بالمسلمين، إلا وهي تنطق اسم النبي ﷺ مقرونا باسم الله الأعلى، في كل صلاة مفروضة أو مسنونة، وترددها في كل أذان وإقامة، وفي الثناء والدعاء، والذكر والشكر . فتبقى الأرض كلها تلهج باسم النبي ﷺ من كل أصحاب اللغات واللهجات، ومن كل ذوي الجنسيات والعرقيات، ومن كل الأعمار في كل الأقطار، مقروناً باسم الله، ليصدق قول الله: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [سورة الشَّرح: الآية ٤]

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[سورة التوبة: الآية ٤٠]

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٦٧]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٤]

لقد تكفل الله بنصر نبيه. فقد نصره الله. هكذا أتت بصيغة الماضي. قبل هذا الوجود . وقبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة حين قدر الله مقادير الخلاق. بل قبل ذلك . فالقرآن من كلام الله، وكلام الله صفة لله. انتهت القصة والأيام كفيلة بإبراز ذلك . يبقى ذكره، ويتولى الله نصرته، وذهب شانؤوه إلى مزابل التاريخ..

﴿..حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ يكفيك من كل ما أهمك، يحفظك في الأزمات، ويرعاك في الملمات، ويحميك في المدلهمات.

﴿..حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾، فهو ناصرك على كل عدو، ومظهرك على كل خصم، ومؤيدك في كل أمر، يعطيك إذا سألت، ويغفر لك إذا استغفرت، ويزيدك إذا شكرت، ويذكرك إذا ذكرت، وينصرك إذا حاربت، ويوفقك إذا حكمت.

﴿..حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾، يمنحك العز بلا عشيرة، والغنى بلا مال، والحفظ بلا حرس، فأنت المظفر؛ لأن الله حسبك! وأنت الموفق لأن الله حسبك، فلا تخف من عين حاسد، ولا من كيد كائد، ولا من مكر ماكر، ولا من خبث كافر، ولا من حيلة فاجر؛ لأن الله حسبك.

﴿..حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾، من صولة الباطل، ودعاية الشرك، وجلبة الخصوم، ووعيد اليهود، وخبث النصارى وكفرهم، وتربص المنافقين، وشماتة الحاسدين.

﴿..حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾، إذا أعرض القريب، وشمت العدو .. إذا أتت المصائب، وتوالت الخطوب، وحفت النكبات.

﴿..حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾.. إذا أبطأ النصر، وتأخر الفتح، واشتد الكرب، وادلهم الخطب. أنت محفوظ لأنك بعين الله، وأنت محروس لأنك خليله، وأنت في رعايته لأنك رسوله، وأنت في حمايته لأنك عبده المجتبى، ونبيه المصطفى ﷺ ولأنك الجوهرة اليتيمة التي ما جاد بمثلها الزمان من قبلك ولا من بعدك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها [1].

والآن مع حال ومآل من تطاول علي المقام الرفيع للحبيب محمد ﷺ، لعل من تسول له نفسه التعرض لمقام الحبيب محمد ﷺ أن يجد فيها العبرة والعظة فينزجر ويرتدع ، ولعل أحباب الحبيب محمد ﷺ يجدوا فيها من السلوي وما يذهب بعض غيظ قلوبهم ممن أساء إلي حبيبهم وقرة

١) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ، ١/ ٢٠٩

عيونهم ، بالتعرف على مصير المعاندين والمستكبرين والمستهزئين بالحبيب محمد ﷺ ويروا كيف ذهبوا إلى مزابل التاريخ تشيعهم لعنات اللاعنين ، ولكل منهم خاتمة فيها العبرة والعظة ، ثم يوم القيامة

﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [سورة إبراهيم: الآية ٥٠].

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الفرقان: الآية ٢٩]

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية ٦٦]

١. أبو جهل - عليه لعنة الله - فرعون هذه الأمة:

أبوجهل، أكبر مجرمي قريش، عدو الله، وأكبر أعداء النبي ﷺ ، ناصبه العداء حتى آخر رمق من حياته، ملأ الأرض كفرا، وعاث في الأرض فساداً، هو فرعون هذه الأمة. ومن أكابر شياطين الإنس -لعنه الله-.

من أجل الرئاسة وحسداً للنبي ﷺ جحد نبوة خليل الرحمن محمد! ﷺ وهو العليم بصدق رسول ﷺ.

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: "إن أول يوم عرفت فيه رسول الله ﷺ كنت أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل: "يا أبا الحكم! هلم إلى الله وإلى رسوله، إني أدعوك إلى الله"، فقال أبو جهل: يا محمد، هل أنت منته عن سب آلهتنا؟ هل تريد إلا أن تشهد أن قد بلغت؟ فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقا ما تبعتك!. فانصرف رسول الله ﷺ وأقبل علي، فقال: والله إني لأعلم ما يقول حق، ولكن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، فقلنا: نعم، قالوا: فينا الندوة، قلنا: نعم، قالوا: فينا اللواء، قلنا: نعم،

قالوا: فينا السقاية، قلنا: نعم. ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي! فلا والله لا أفعل" [1].

قال المسور بن مخرمة -وهو ابن أخت أبي جهل- لأبي جهل: "يا خالي، هل كنتم تتهمون محمدا بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله لقد كان محمد فينا وهو شاب يدعى "الأمين"، فما جربنا عليه كذبا قط. قال: يا خال، فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب -وكنا كفرسي رهان- قالوا: "منا نبي"، فمتى ندرك مثل هذه؟ ".

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: "يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب، فإنه ليس ها هنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا؟ فقال أبو جهل: ويحك! والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟"[2].

وروى البيهقي بسنده عن ابن إسحاق: حدثني الزهري قال: حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليسمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع منه، وكل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق فتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا. ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا . فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا،

---

١) "دلائل النبوة" للبيهقي، باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز (٢/ ٢٠٧).
٢) ابن قيم الجوزية ، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ص ٥٠ - ٥١

فجمعهم الطريق، فقالوا: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك، ثم تفرقوا. فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه، ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته، فقال: أخبرني -يا أبا حنظلة- عن رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: يا أبا ثعلبة، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها، فقال الأخنس: وأنا والذي حلفت به، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل، فدخل عليه بيته، فقال: يا أبا الحكم، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ فقال: ماذا سمعت؟! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا على الركب -وكنا كفرسي رهان- قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء. متى ندرك هذه؟ والله لا نسمع به أبداً ولا نصدقه .. فقام عنه الأخنس بن شريق"[1].

فيا له من قزم أحمق، مكن الهوى والعناد من قلبه، والجحود والكفر والحسد والبغي من صدره، والمخالفة من جوارحه، فصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض، فمدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، وقوله ظلمة، وعمله ظلمة، وقصده ظلمة، وهو متخبط في ظلمات طبعه وشركه وهواه، وقلبه مظلم، ووجهه مظلم . أشرق له نور النبوة، فكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش.

بصائر أعشاها النهار بضوئه ولاءمها قطع من الليل مظلم

أصمه الله وأبكمه وأعماه، فهو ميت الدارين، فاقد السعادتين، قد رضي بخزي الدنيا وعذاب الآخرة، باع التجارة الرابحة بالصفقة الخاسرة، قلبه عن نبي الله ﷺ مصدود، وسبيل الوصول إلى جنة ربه وقربه منه مسدود، هو ولي الشيطان، وعدو الرحمن، وأبو الكفر والفسوق والعصيان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: "هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟! فقيل: نعم، فقال: واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي -زعم ليطأ

---

1) البداية والنهاية، ٥/ ٦٢

على رقبته -، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ: "لو دنا لاختطفته الملائكة عضواً عضواً". قال: فأنزل الله: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب ﴾ [سورة العلق: الآية ٦:١٩].

أبوجهل هو فرعون هذه الأمة وأكثرها معاندة ومحاربة للرسول وأكثرهم طعناً وشتماً وسباً للرسول ﷺ قضى حياته كلها في حرب رسول الله ﷺ فكيف كانت نهايته؟

في غزوة بدر يروى لنا "عبد الرحمن بن عوف" كيف تم ذلك فيقول: "إني لواقف يوم بدر في الصف فنظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أن أكون بين أظلع منهما، يقصد أقوى منهما، فغمزني أحدهما فقال يا عم أتعرف أبا جهل ؟ فقلت نعم وما حاجتك إليه ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال لي أيضا مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل وهو يجول في الناس فقلت: ألا تريان ؟ هذا صاحبكم الذي تسألان عنه، فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء "(١).

وهكذا ينتصر الأطفال ممن سب رسول الله ﷺ ، وهكذا يكون مصرع هذا الفرعون المتكبر على يد أطفال صغار .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ: " من ينظر ماذا صنع أبو جهل؟ " قال ابن مسعود " أنا يا رسول الله، فانطلق فوجده قد ضربه ابنا عفراء، حتى برد . قال:

---

١) رواه البخاري (٣٩٨٨)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/ ١٩٢، ١٩٣)، وأبو يعلى (٢/ ١٧٠).

فأخذ بلحيته، قال: فقلت : أنت أبو جهل ؟ فقال : وهل فوق رجل قتلتموه ، أو قال: قتله فوق[1].

١. بنو النضير – عليهم لعنة الله – أرادوا قتل النبي ﷺ :

قال ابن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ إلي بني النضير، ليستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية للعهد الذي كان رسول الله ﷺ أعطاهما وكان بين بني النضير وبين بني عامر عهد حلف فلما أتاهم ﷺ قالوا: نعم، نعينك يا أبا القاسم على ما أحببت، فقالوا: أنكم لن تجدوا الرجل على مثله حاله هذه – ورسوله الله ﷺ إلي جنب جدار من بيوتهم قاعد – من رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة ويريحنا منه؟ فأنتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، فقال: أنا كذلك فصعد ليلقي عليه صخرة، كما قال، ورسول الله ﷺ في نفر من أصحاب فيهم أبو بكر وعمر وعلى، فأتي رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم وخرج راجعاً إلي المدينة، فلما استلبث النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فاخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به قال الواقدي : فبعث رسول الله ﷺ محمد بين سلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر فقويت عن ذلك نفوسهم، وحمى حيي بن أخطب ، وبعثوا إلي رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون ، ونابزوه بنقض العهود، فعند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم.

قال بن إسحاق: فسار حتى نزل بهم ، فحاصرهم ست ليال ، وتحصنوا في الحصون فأمر رسول الله ﷺ بالشروع في إتلاف وإحراق اللينة ، أردأ أنواع نخيل

---

١) أخرجه البخاري (٣٩٦٢).

اليهود الذي لا يقتاتون منه ، وهو نوع يخالف العجوة والبرني ، الـذي كـان الغـذاء الرئيسي لأهل المدينة ولم يكد الدخان يتصاعد وفـروع هـذه النخـل تتسـاقط حتـى دخلهم الذعر فنادوا أن يا محمد قد كنت تنهي عن الفساد وتعيب من صنعه فما بـال النخيل وتحريقها ؟ ! فأنزل الله عـز وجـل: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سـورة الحشر: الآيـة ٥] ولم يسـتمر اليهـود طويلاً في المقاومة، فقد خارت قـواهم، إذ لم يمـض عـلى ضرب الحصـار أكثـر مـن عشــرين يومـاً، حتـى بعثـوا بمنـدوبهم إلي النبـي ﷺ للتفـاوض، وكانـت نهايـة التفاوض اتفاقية الجلاء، أن يجلو يهود بني النضير عن منطقة يثـرب جـلاءً تامـاً إلي أي مكان يشاؤن.

أن يسلم اليهود للمسلمين كل ما يملكون من سلاح بكافة أنواعـه ويكونـوا ساعة جلائهم من يثرب مجردين من السلاح تماماً.

لليهود أن يحملوا من أموالهم ما يقدرون على حمله ما عدا السلاح مهما كانـت قيمة أو نوع هذا المال.

بعد الذي يقدر اليهود على حمله من المـال يكـون كـل مـا تبقـي مـن أمـوالهم المنقولة وغير المنقولة فيئاً للمسلمين وملكاً من أملاكهم.

أوقر اليهود ستمائة بعير من الأموال التي قـدروا عـلى حملهـا خرجـوا كلهـم رعب وغيظ ويقول سلام بن أبي الحقيق وقد حمل معه جلد ثـور مملـوء ذهبـاً فكـان يضرب بيده على هذه الجلد ويقول: هـذا الـذي أعـددناه لرفـع الأرض وخفضـها وإن كنا تركناه نخلاً ففي خيبر النخل .

وكان اليهود يعمدون عند مغـادرتهم المدينـة – إلي سـقف بيـوتهم وعُمُـدها وجدرانها فينفضونها لئلا يستفيد منها المسلمون.

يقول الله تعـالي: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ۖ وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ [سورة الحشر: الآية ٢] [1]

وعاد ابن أما الذي أراد رمي الحجر عمرو بن جحاش فلم يفلت من طائلة العقاب إذ سرعان ما أمر الرسول ابن يامين بن عمير- الذي أعلن إسلامه خلال فترة الحصار- [1] أن يدبر أمر اغتياله فأجابه أنا أكفيكه يا رسول الله، وما لبث أن اتصل برجل من قيس وأعطاه عشرة دنانير لقاء تعهده بقتل ابن جحاش، فأدى الأعرابي المهمة، يامين لكي يخبر الرسول ﷺ بالقضاء على الخائن [1] .

٢. أبو لهب وامرأته حماله الحطب:

وأبو لهب هذا الذي أفرد الله ذكره من كفار قريش هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزي بن عبد المطلب وكنيته أبو عتبة، وإنما سمي أبا لهب لإشراق وجهه ولتلهب وجنتيه، وكان كنيته من جنس عمله وماله إلي ذات اللهب ، فوافقت حاله كنيته فحسن ذكره بها، وامرأته أم جميل واسمها أروي بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان.

ولقد كان أبو لهب كثير الأذية لرسول الله ﷺ والبغض له والازدراء به والتنقص له ولدينه .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خرج إلي البطحاء فصعد الجبل فنادي: " يا صباحاه " فاجتمعت إليه قريش، فقال: " أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ " قالوا: نعم، قال: "فإني نذير لكم بين يدي

---

١) السيرة لابن هشام، ٤/ ١٤٣- ١٤٤

١) لما أسلم يامين بن عمير (ابن عم عمرو بن جحاش) وأبو سعد بن وهب ، فقد قال أحدهما لصاحبه: والله إنك لتعلم أنه رسول الله، ثم اتفقا على الدخول في الإسلام، فأسلما، وكان إسلامهما أيام الحصار حيث نزلا (ليلًا) من حصون بنى النضير واتصلا بالنبي ق ثم أعلنا إسلامهما فأحرزا أموالهما.
وقد تقرب يامين بن عمير إلى الله تعالى بدم ابن عمه (عمرو بن جحاش) الذي أراد أن يلقى الحجر على الرسول ﷺ لقتله

١) الواقدي، ١/ ٣٧٣- ٣٧٤.

عذاب شديد" فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبا لـك، فـأنز الله: "تبـت يـدا أبي لهـب وتب".[١]

ولما أجمع بنو هاشم بقيادة أبي لهب على حماية النبـي ﷺ ولـو لم يكونـوا عـلى دينه بدافع العصبية القبلية ، خرج أبو لهب على إخوته وحالف عليهم قريشاً ، وكان معهم في الصحيفة التي كتبوها بمقاطعة بني هاشم وتجويعهم كي يسلموا لهم محمدا ﷺ ، وكان قد خطب بنتي الرسول ﷺ رقية وأم كلثوم لولديه قبـل بعثـه النبـي صلى الله عليه وسلم فلما كانت البعثة أمرهما بتطليقهما حتى يثقل كاهل الحبيب محمد ﷺ بهما.

وعن عطاء: حينما مات ابن الرسول ﷺ ذهب أبو لهب إلي المشركين وقـال: بتر محمد الليلة فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾

عن هُبار بن الأسود قال: كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلي الشام فجهزت معهما فقال ابنه عتبة: والله لأنطلق إلي محمد ولأوذينه في ربـه – سـبحانه – فـانطلق حتى أتي النبيﷺ فقال: يا محمد ، هو يكفر بالذي دنا فتدلي فكان قاب قوسـين أو أدنى فقال النبي ﷺ : "اللهم ابعث إليه كلباً من كلابك " ثم انصرف عنـه فرجـع إلي أبيه، فقال: يا بني ما قلت له ؟ فذكر ما قال له ، قال : فما قـال لـك؟ قـال: قـال: "اللهم سلط عليه كلب من كلابك " قال: يا بني والله ما آمن عليك دعاءه.

فسرنا حتى نزلنا الشراه وهي مأسدة – كثـيرة الأسـود – فنزلنـا إلي صـومعه راهب فقال: يا معشر العرب ما أنزلكم هذه البلاد ، فإنها تســرح الأُسـد فيهـا كـما تسرح الغنم ، فقال لنا أبو لهب : أنكم قد عرفتم كبر سني وحقي ، وإن هذا الرجـل قد دعا على ابني دعوة ، والله ما أمنها عليـه ، فـأجمعوا متـاعكم إلي هـذه الصـومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ، ففعلنا فجـاء الأسـد فشـم وجوهنـا، فلـما لم يجد ما يريد ، تقيض فوثب فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة – ضربـه

---

١) رواه البخاري

ضربة – ، ففضح – شرخ – رأسه ، فقال أبو لهب : قـد عرفـت أنـه لا ينفلـت عـن دعوة محمد [1] .

وانظر كيف أخذه من وجهه لأنه تفل في وجه النبـي ﷺ ، فلـم يأخـذه مـن يديه أو رجليه إنما من وجهه الذي تجرأ به على النبي ﷺ .

أَلَمْ تَرَ أن السَّيفَ يَنقُصُ قَدْرُه. إذا قيل: إنَّ السَّيفَ أمضى من العصا؟!

فابن أبى لهب لا يناسبه إلا كلب [2]

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في قصة الأسد مع عُتَيْبَة بن أبي لهب:

سـائِلْ بـني الأَشْعَرِ إنْ جئتَهُم ... مـا كـان أنبـاءُ أبي وَاسِـع

لاَ وَسَّـــعَ اللهُ لـــه قَبْـــرَهُ ... بَـلْ ضَـيَّقَ اللهُ علـى القَـاطِع

رِحْــمَ نبِــيٍّ جَــدُّهُ جَــدُّهُ ... يَدْعو إلى نُـورِ هُدًى سَاطِع

أسْــبَلَ بــالحِجْرِ لتكْذِيبــهِ ... دُونَ قُــرَيْشٍ نهْــزَهُ القَــاع

فاسْـتوْجَبَ الـدَّعْوَةَ منـهُ فَقَـدْ ... بَــيَّنَ للنــاظِرِ والسَّــامِع

إن سَـــلَّطَ اللهُ بـــهِ كَلْبَـــهُ ... يمشي الهُوينى مِشْـيةَ الخَادِع

فالتَـــهمَ الـــرأسَ بِيَافُوخِـــهِ ... والحَلْـقَ مِنـه فَغْـرَةَ الجَـائِع

أسْــلَمْتُمُوه وهــو يَــدْعُوكُمُ ... بالنَسَـبِ الأدْنـى وبالجَـامِع

واللَّيْــثُ يَعْلُــوهُ بأنيَابِــه ... مُنعَفِـرًا وَسْـطَ الـدَّم النَّـاقِع

لا يَرْفَـعُ الـرحْمَنُ مَصْـرُوعَكَم ... ولا يُـوهِنُ قُـوَّةَ الصَّـارع

مَــنْ يَرجِـعُ العَـامَ إلى أهلِـه ... فمـا أكِيـلُ السَّـبعْ بـالرَّاجع

قـد كـانَ فيـه لَكُـمْ عِبْـرَةٌ ... للسَّــيِّدَ المَتْبُــوع والتَّــابع

---

[1] تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٣١٦

[2] قال القاسمي في "محاسن التأويل ، ١٧/ ٦٢٩٢ ، ومنه يُعلم أن الأسد يُطلقَ عليه كلب، ولما أُضيف إلى الله؛ كأنه أعظم أفراده.

مــن عــادَ فاللَّيْــثُ لَــهُ عَائِــدٌ   أعْظِـمْ بِـه مــن خَبَـرٍ شَــائِع

نهاية أبو لهب:

قال نافع مولي رسول الله ﷺ: رماه الله بالعدسة [1] فقتلته ، فلقد تركـه أبنـاه بعد موته ثلاثاً، ما دفناه حتى انتن، وكانـت قـريش تتقـي هـذه العدسـة كـما تتقـي الطاعون حتى قال لهم رجل من قريش: ويحكما ألا تستحيان أن أبـاكما قـد أنـتن في بيته لا تدفناه ؟ فقالا: إنا نخشى عدوة هذه القرحة، فقال: انطلقا فأنا أعينكم عليه، فو الله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ما يـدنون منـه، ثـم احتملـوه إلي أعـلى مكة، فأسندوه إلي جدار ثم رجموا عليه بالحجارة .

عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنها كانت لا تمر على مكـان أبي لهـب هـذا إلا تســترت بنوبتهــا حتــى تجــوز ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ ﴾ [سورة المَسَد: الآية ٤]. [2]

مَن للأحول غير أم قبيح أم جميل العوراء !؟

قال ابن العربي: العوراء أم قبيح، وكانت عـوراء، مـن لهـا غـير أبي النـار أبي لهب؟! حقق الله نسبه، لقد صرفهم الله على أن يقولـوا: أبـو النـور ، وأبـو الضـياء، الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه وأجري على ألسنتهم أن يضيفوه إلي لهـب، الذي هو مخصوص بالمكروه والمذموم وهو النار ثم حقق ذلك بأن يجعلها مقره .

قال ابن كثير عن أم جميل: كانت عوناً لزوجها عـلى كفـره وجحـوده وعنـاده فلهذا تكون يوم القيامة عونـاً عليـه في عذابـه نـار جـنهم ولهـذا قـال : ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥ ﴾ [ســورة المَســد: الآيــة ٤ – ٥] يعني: تحمل الحطب فتلقي على زوجها ليزداد على مـا هـو فيـه وهـي مهيـأة لـذلك مستعدة له .

---

١) العدسة: قرحَة قاتلة كالطاعون. وَقد عدس الرجل: إذا أصَابَهُ ذَلِك.

٢) ابن الأثير،الكامل، ٢/ ٩٢.

وكانت أم جميل تحمل الشوك فتضعه في طريق رسول الله ﷺ.

وقال قتادة: كانت تُعير رسول الله ﷺ بالفقر ، ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب لشدة بخلها .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: لما نزلت: " تبت يدي أبي لهب وتب " أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب، ولها ولوعة وفي يدها فهر – حجارة – وهي تقول:

مذمما أبينا
ودينه قلينا
وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر ، قال : يا رسول الله ﷺ قد أقبلت ، وأنا أخاف عليك أن تراك ، فقال رسول الله ﷺ : " أنها لن تراني " وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالي : ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الإسراء: الآية ٤٥]

فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر، ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت: يا أبا بكر أني أخبرت أن صاحبك هجاني ؟ قال: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولت وهي تقول : قد علمنا قريش إني ابنة سيدها [1] .

قال الهمداني : كانت أم جميل تأتي كل يوم بإباله – حزمة كبيرة – من الحسك – شوك – فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي حاملة ذات يوم حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فأهلكها – خنقها الله بحبلها[2].

١) أخرجه الحاكم في المستدرك - كتاب التفسير - باب أم جميل عميت عن رؤية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رقم الحديث (٣٤٢٨).
٢) تفسير القرطبي ، ١٠/ ٧٣٣٠

وحمالة الخطايا والذنوب من قولهم : فلان يحتطب على ظهره دليله قوله تعالي: ﴿ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ٣١]، ولا يظلم ربك أحدا [١]

٣. عقبة بن أبي معيط :

هو أشقى المشركين قاطبة والذي تجرأ على فعلة لم يجرؤ عليها ولا حتى أبا جهل، حيث جاء والرسول ساجد خلف المقام بالكعبة فوضع رجله على عنق الرسول وغمزها فما رفعها حتى كادت تخرج عينا الرسول من مكانها، ثم جاء مرة أخرى بسلا شاة فألقاه على كتف الرسول ﷺ وهو ساجد فجاءت فاطمة فطرحته عن كتف أبيها.

فتكون عاقبته أن يقع أسيراً في غزوة بدر ويؤخذ من بين الأسرى وتضرب عنقه ثم يلقى في قليب بدر العفن، وهكذا جزاء من سولت له نفسه وضع قدمه على العنق المبارك الشريف تقطع عنقه ويلقى في المزابل.هذا الشقيِّ الذي آذى رسولَ الله ﷺ وانفرَدَ بما لم يفعْله أحدٌ، ووضع رِجلَه على عُنق أطهرِ الخلقِ رسول الله ﷺ فقُطعت عنقُه جزاءً وفاقًا:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بينا النبي ﷺ ساجد وحولَه ناسٌ من قريشٍ جاء عقبةُ بنُ أبي مُعَيْط بِسَلَى جزورٍ، فقَذَفه على ظَهرِ النبي ﷺ فلم يَرفعْ رأسَه، فجاءت فاطمةُ عليها السلام، فأخذَتْه عن ظهره، ودَعَتْ على من صَنع، فقال النبي ﷺ "اللهمَّ عليك الملأَ مِن قريش: أبا جهل بن هشام، وعُتبةَ بنِ ربيعة، وشَيبةَ بن ربيعة، وأميةَ بنِ خَلف -أوْ أبي بن خلف-" -شعبةُ الشاكُّ-، فرأيتُهم

---

١) سيد بن حسين بن عبد الله العفاني ، وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، دار العفاني، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م ، ص٢٥٨

قُتِلوا يوم بدر، فأُلْقوا في بئرٍ، غيرَ أميَّةَ بنِ خَلَف أو أبيٍّ، تَقطَّعت أوصالُه فلم يُلـقَ في البئر" [1].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "بينما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة، وجَمْعٌ من قريشٍ في مجالسهم إذْ قال قائل منهم: ألا تنظرون إلى هذا المرائي؟ أيُكُم يقومُ إلى جَزور آلِ فلان، فيَعْمِدَ إلى فَرْثها ودَمِها وسلاها، فيجيءَ به، ثم يُمهِلَه حتى إذا سَجد وضعه بين كتفيْه؟! فانبعث أشقاهم [2]، فلما سجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَضَعه بين كتفيه، وثَبَت النبيُّ صلى الله عليه وسلم ساجدًا، فضَحِكوا حتى مال بعضهم إلى بعضٍ من الضحك. فانطلق منطلق إلى فاطمة عليها السلام -وهي جُوَيْرِية- فأقبلت تسعى، وثَبَت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألقته عنه، وأقبلَتْ عليهم تَسُبُّهم.فلما قَضَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال: "اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش، اللهم عليك بقريش". ثم سمَّى: "اللهم عليك بعمرِو بن هشام وعتبةَ بنِ ربيعة وشيبةَ ابنِ ربيعة والوليد بنِ عتبة وأميةَ بنِ خَلَف وعَقبةَ بنِ أبي مُعيط وعُمارةَ بنِ الوليد"، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: فوالله لقد رأيتُهم صَرعَى يومَ بدر، ثم سُحبوا إلى القليب [3] -قليب بدرٍ- ثم قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: "وأُتبع أصحابُ القليب لعنة" [4].وقد بيَّنَتِ الرواياتُ الصحيحةُ الأخرى أن الذي رَمى الفَرْثَ عليه هو عقبةُ بنُ أبي مُعَيط، وأن الذي حَرَّضه هو أبو جهل [5].

وعن عروةَ بن الزبير قال: "سألتُ ابنَ عمرِو بنِ العاص: "أخبِرْني بأشدِّ شيء صَنَعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال: بينا النبي صلى الله عليه وسلم يصلِّي في حِجْر الكَعبة، إذْ أقبل عُقبةُ بنُ أبي مُعيطٍ، فوَضَع ثوبه في عنقِه، فخنقَه خنْقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر

---

١) رواه البخاري- كتاب مناقب الأنصار - باب ما لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابُه من المشركين بمكة حديث (٣٨٥٤).

٢) هو عقبة لعنه الله.

٣) القليب: البئر المفتوحة.

٤) رواه البخارى "فتح الباري" (١/ ٥٩٤) ومسلم في "صحيحه" (٣/ ١٤١٨ - ١٤٢٠).

٥) صحيح البخاري "فتح الباري" (٦/ ٢٨٣، ٧/ ١٦٥)، و"صحيح مسلم" (٣/ ١٤٢٠).

حتى أخذ بِمَنكِبِه ودَفَعه عن النبي ﷺ قال: ﴿..أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ..﴾ [سورة غافر: الآية ٢٨] [١].

عن ابن عباس أن أبا مُعَيط [٢] كان يَجلِسُ مع النبي ﷺ بمكةَ لا يُؤذيه [٣]، وكان رجلاً حليمًا، وكان بقيَّةُ قريشٍ إذا جَلَسوا آذَوْه، وكان لأبي مُعيطٍ خليلٌ غائبٌ عنه بالشام، فقالت قريشٌ: صَبأَ أبو مُعَيط. وقدِم خليلُه من الشام ليلاً، فقال لامرأتِه: ما فَعَل محمدٌ مما كان عليه؟ فقالت: أشدُّ مما كان أمرًا. فقال: ما فَعَل خليلي أبو مُعَيط؟ فقالت: صبأ. فبات بليلةِ سَوءٍ، فلما أصبَح أتاه أبو مُعَيط فحَيَّاه، فلم يرُدَّ عليه التحيةَ، فقال: ما لكَ لا تَرُدُّ علي تحيتي؟ فقال: كيف أَرُدُّ عليك تحيتَك وقد صَبَوتَ؟ قال: أَوَ قَدْ فَعَلَتْها قريش؟ قال؟ نعم. قال: فما يُبرئُ صُدورَهم إنْ أنا فعلتُ؟ قال: تأتيه في مَجلِسِه فتبزُقُ في وجهه، وتشتُمُه بأخبثِ ما تعلمُ من الشَّتْم. ففعل، فلم يَزد النبيُّ ﷺ على أن مَسَح وجهه من البُزاق، ثم التفت إليه فقال: "إنْ وَجَدْتُك خارجًا من جبال مكة أضرب عُنُقَك صبْرًا". فلمَّا كان يومُ بدرٍ وخَرَج أصحابُه، أبى أن يخرجَ، فقال له أصحابه: اخرجْ معنا. قال: قد وَعَدَني هذا الرجل إن وَجَدَني خارجًا من جبال مكةَ أن يضربَ عُنُقي صبرًا [٤]. فقالوا: لك جَمَلٌ أحمرُ لا يُدرَك، فلو كانتِ الهزيمةُ طِرْتَ عليه، فخرج معهم، فلما هَزَم اللهُ المشركين، وَحَل [٥] به جَمَلُه في جَدَدٍ [٦] من الأرض، فأخذه رسولُ الله ﷺ أسيرًا في سبعينَ مِن قُرَيْش، وقدِم إليه أبو مُعَيط، فقال: أتقتلُني مِن بين هؤلاء؟ قال: "نعم، بما بزَقْتَ في وَجْهي"، فأنزل الله في أبي مُعَيط: ﴿ وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ .... ﴾ .هو، إلى

---

١) أخرجه البخاري (٣٨٥٦)، وأحمد، والبزار، والبخاري في "خلق أفعال العباد"، وأبو يعلى وابن حبان.
٢) هو عقبة بن أبي معيط.
٣) هذا في بداية أمره.
٤) كل مَن قُتِل في غير معركة ولا حرب ولا خطأ، فإنه مقتول صبراً.
٥) الوحل: الطين الرقيق، ووحل الوجل: أي وقع في الوحل.
٦) الجَدَد:ما استوى من الأرض.

قولـــه: ﴿... وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾﴾ [ســـورة الفرقـــان: الآيـــة ٢٧:٢٩][1].

قال عقبة حين أمر رسول الله ﷺ بقتله: فمن للصبية يا محمد ؟ قال : " النار " وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح [2].

ولماأقبل إليه عاصم بن ثابت قال: يا معشر قريش علام اقتل مِن بين مَن هنا؟ قال : على عداوتك لله ورسوله .

وقال حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر رسول الله ﷺ بقتل عقبة قال : أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال:" نعم، أتدرون ما صـنع هذا بي، جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها فما رفعها حتى ظننت أن عينيٌ ستندران [3] وجاء مرة أخـرى بسـلا [4] شـاه فألقـاه عـلى رأسي وأنـا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي [5].

٤. أبي بـن خـلـف:

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: " اشتد غضـب الله عـلى قـوم فعلوا بنبيه – يشير إلي رباعيته – اشتد غضب الله على رجـل يقتلـه رسـول الله ﷺ في سبيل الله."[6]

و كان أبي بن خلف يلقي رسول الله ﷺ بمكة فيقول : يـا محمـد إن عنـدي العَوذ ، فرساً أعلفه في كل يوم فرقاً – مكيال – من ذرة أقتلك عليه ، فيقول رسـول الله ﷺ: " بل أنا أقتلك إن شاء الله "

---

١) الدر المنثور للسيوطي ، ١١/ ١٦٣ – ١٦٤ ، ط دار هجر
٢)) تاريخ الطبرى،٢/ ٣٨،مجمع الزوائد للهيثمى، ٦/ ٨٩.
٣) ستندران: ستخرجان من مكانهما.
٤) السلا: الكيس الذي يكون فيه الجنين في بطن أمه «المشيمة» .
٥) البداية والنهاية، ٣ / ٣٠٦
٦) رواه البخاري (٤٠٧٣)، ومسلم (١٧٩٣).

عن عروة بن الزبير قال: كان أبي بن خلف أخو بني جمع، قد حلف وهو بمكة ليقتلن رسول الله ﷺ ، فلما بلغت رسول الله ﷺ حلفته قال : " بل أنا اقتله إن شاء الله " فلما كان يوم أحد أقبل أُبي في الحديد مقنعاً وهو يقول لا نجوت إن نجا محمد فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتله ، فاستقبله مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار يقي رسول الله ﷺ بنفسه ، فقتل مصعب بن عمير ، وأبصر رسول الله ﷺ ترقوة أبي بن خلف من فرجه سابغة الدرع والبيضة ، فطعنه فيها بالحرية فوقع إلي الأرض عن فرسه ، ولم يخرج من طعنته دم ، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له : ما أجزعك إنما هو خدش ؟ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ : " أنا أقتل أبيا " ثم قال: والذي نفسي بيده، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون فمات إلي ﴿فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سورة المُلك: الآية ١١][١].

وفي رواية: لما رجع إلي قومه وقد خدشه الرسول ﷺ بالحربة خدشاً غير كبير قال : قتلني والله محمد ، قالوا له : ذهب والله فؤادك والله ما بك من بأس قال: إنه قد كان قال بمكة : " أنا أقتلك " فو الله لو بصق عليَّ لقتلني ، فكان هذا الشقي هو الوحيد الذي قتله رسول الله ﷺ بيده الكريمة[٢].

٥. عبد اللّه بن قَمِئَة – أقمأه اللّه:

عن ابن عباس قال: اشتد غضب الله على من دمّي وجه رسول الله ﷺ [٣].

ومجموع ما ذكر في الأخبار أنه شجُ وجهه وكسرت رباعيته وجرحت وجنته وشفته السفلى من اطنها ووهي منكبة من ضربة ابن قمئه وجحشت ركبته[٤].

وعن أبي سعيد الخدري : أن عبد الله بن قمئة جرحه – أي الرسول ﷺ في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المِغفَرِ[٥] في وجنته ﷺ [١].

---

١) البداية والنهاية لابن كثير، ٥/ ٤٠٣ ، دلائل النبوة للبيهقي، ٣/ ٢٥٨، ٢٥٩

٢) البداية والنهاية لابن كثير، ٥/ ٤٠٣

٣) موارد الظمآن للهيثمى (٢٢١٢)، دلائل النبوة للبيهقى (٣/ ٢٦٥)،البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٠) .

٤) "فتح الباري" (٧/ ٤٣١).

٥) المغفر: شبيه بحَلَق الدرع، يجعل في الرأس يُتَّقى به في الحرب.

قال عبد الرحمن بن زيد بـن جـابر : إن الـذي رمـي رسـول الله ﷺ بأحـد فجرحه في وجهه قال : خذها منـي وأنـا ابـن قمئـه ، فقـال : " أقمـأك الله " قـال فانصـرف إلي أهله فخرج إلي غنمه ، فوافاها على ذروة جبل ، فـدخل فيهـا ، فشـد عليها تيسها فنطحه نطحه أرداه من شاهق الجبل فتقطع .

وعن أبي أمامة قال : رمي عبد الله بن قمئة رسول الله ﷺ يـوم أحـد فشـج وجهه وكسر رباعيته ، فقال : خذها وأنـا ابـن قمئـة ، فقـال رسـول الله ﷺ وهـو يمسح الدم عن وجهه : " مالك أقمأك الله " . فسلط الله عليه تيس جبل ، فلم يـزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة "[2].

لم يرسِل الله -عز وجل- إلى ابن قمئة مَلَكًا؛ لينتقمَ لنبيِّه ﷺ وإنما سَلَّط عليه تيسًا قطَّعه، وألقاه من فوقِ الجبل، لهوانه على الله!!.

يا لَذُل قَزْمٍ تَطاول على النبي ﷺ ، وشَجَّ وجهَه، فأخزاه الله، وقَطعـه تَـيسٌ، وتردَّى من فوق الجبل إلى الهاوية، ليُخزَى في الدنيا والآخرة.[3]

٦. كسـري مـلك الفرس:

عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافه السهمي بكتابـه إلي كسري ، فلما قرآه مزقه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ قال : " مزق ملكه " .[4]

عن أيّد بنِ أبي حبيبٍ قال: "وبَعَث عبدَ الله بنَ حذافةَ بن قيس إلى كسرى بـن هرمز مَلِكِ فارس، وكتب معه: بسم الله الرحمن الرحيم . من محمـد رسـول الله، إلى كسرى عظيم فارس . سلامٌ على مَنِ اتَبع الهدى، وآمَنَ باللهً ورسـوله، وشَـهِد أَنْ لا إلهَ إلاَّ الله، وحدَه لا شريك له، وأنَ محمدًا عبدُه ورسوله، أدعوك بدُعاء الله، فإني أنا

---

١) "سيرة ابن هشام، ٢/ ٨٠

٢) رواه الطبراني في الشاميين برقم (٤٤٠و٣٣٦٠) وفي المعجم الكبير برقم (٧٤٧٧)

٣) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ، ص ٢٦٧

٤) ابن كثير البداية والنهاية، ٦/ ٣٤٤

رسولُ الله إلى الناس كافَّةً؛ لأُنذرَ مَن كان حيًّا، ويَحِقَّ القولُ عَلى الكافرين، فإن تُسلمْ تَسْلَمْ، وإن أَبَيْتَ، فإنَّ إثمَ المجوسِ عليك".

قال:فلما قرأه شَقَّه، وقال: يَكتبِ إلي بهذا وهو عبدي!! قال: ثم كَتَب كِسرى إلى باذان –وهو نائبه على اليمن– أنِ ابعَثْ إلى هذا الرجل بالحجاز رجُلَينِ من عندك، جَلْدَينِ، فلْيأتياني به . فبعث باذان قَهرمانَه –وكان كاتبًا حاسبًا بكتاب فارس–، وبَعث معه رجلاً من الفرس يقال له: "خُرخُرة"، وكَتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمرة أن ينصرفَ معهما إلى كسرى، وقال لباذَوَيه: ائتِ بلادَ هذا الرجل، وكَلِّمْه وائتني بخبره . فخرجا حتى قَدِما الطائفَ، فوجدَا رجلاً من قريشٍ في أرضِ الطائف، فسألوه عنه، فقال: هو بالمدينة، واستبشَرَ أهل الطائف –يعني وقريش– بهما وفرِحوا، وقال بعضهم لبعض: أبشِروا، فقد نَصَبَ له كسرى مَلِكُ الملوك، وكُفيتمُ الرجل، فخرجا حتى قَدِما على رسول الله ﷺ.

فكَلَّمه باذَويه، فقال: شاهنشاه –مَلِكُ الملوك– كسرى قد كتب إلى المَلِكِ باذانَ؛ يأمرُه أن يَبعث إليك من يأتيه بك، وقد بَعَثني إليك؛ تنطلقَ معي، فإن فعلتَ كَتَب لك إلى مَلكِ الملوك يَكُفُّه عنك، وإنْ أبيتَ، فهو مَن قد علمتَ، فهو مُهلِكُك ومهلِكٌ قومَك، ومُخرِّبٌ بلادَك .. ودخلاَ على رسول الله ﷺ.

وقد حَلَقا لِحاهما، وأعفَيا شواربَهما، فكره النظرَ إليهما، وقال: "ويلكما، مَن أمركما بهذا؟ " قالا: أَمَرنا ربُّنا –يعنيانِ كسرى–. فقال رسول الله ﷺ: "ولكن ربي أمرني بإعفاءِ لِحيتي وقصِّ شاربي"، ثم قال: "أرجعا حتى تأتياني غدًا"، قال: وأتى رسولَ الله الخبرُ من السماء، بأنَّ اللهَ قد سَلَّط على كسرى ابنَه "شِيرويه"، فقَتَله في شهرِ كذا وكذا، في ليلةِ كذا وكذا من الليالي، سَلَّط عليه ابنَه شيرويه فقتله.

قال: فدعاهما، فأخبرهما، فقالا: هل تدري ما تقول؟ إنا قد نَقَمْنا عليك ما هو أيسرُ من هذا، فنكتبُ عنك بهذا، ونخبِر الملك باذان؟ قال: "نعم، أخبِراه ذلك

عنِّي، وقُولاَ له: إن دِيني وسُلطاني سيبلغُ ما بَلَغ كسرى، وينتهي إلى الخُفِّ والحافر، وقولاَ له: إن أسلمْتَ أعطيتُك ما تحتَ يديك، ومَلَّكتُك على قومك من الأبناء"، ثم أعطى "خُرخرةَ" مِنطقةً فيها ذهبٌ وفضة كان أهداهاَ له بعضُ الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله، ما هذا بكلامِ مَلِكٍ، وإني لأرى الرجلَ نبيًّا كما يقول، ولَيكونَنَّ ما قد قال، فلَئنْ كان هذا حقًّا فهو نبيٌّ مرسل، وإنْ لم يكن فسنرى فيه رأيًا، فلم يَنْشَبْ باذانُ أن قَدِمَ عليه كتابُ شيرويه: أما بعد، فإني قد قتلتُ كسرى، ولم أقتلْه إلاَّ غضبًا لفارس، لِمَا كان استَحَل مِن قتل أشرافهم، ونَحْرِهم في ثغورهم، فإذا جاءك كتابي هذا، فخُذْ لي الطاعةَ ممن قبِلك، وانطلِقْ إلى الرجل الذي كان كسرى قد كَتَب فيه، فلا تَهْجِهِ حتى يأتيَك أمري فيه، فلما انتهى كتاب شِيرويه إلى باذان، قال: إن هذا الرجلَ لرسول .. فأسلم، وأَسلمتِ الأبناءُ من فارس، مَن كان منهم باليمن.

قال: وقد قال باذويه لباذان: ما كَلَّمتُ أحدًا أهيبَ عندي منه، فقال له باذان: هل معه شُرَطٌ؟ قال: لا ..

وَكسْـرَى إذْ تقَاسَـمَهُ بَنُـوهُ ... بِأسْـيَافٍ كمَـا اقْتُسِـمَ اللَّحَـامُ
بِأسْـيَافٍ كمَـا اقْتُسِـمَ اللَّحَـامُ ... أتـى وَلِكُـلِّ حَامِلَـةٍ تمَـامُ

قال الشافعيُّ: لما أُتي كسرى بكتابِ رسول الله ﷺ مَزَّقه، فقال: رسول الله ﷺ "يُمزَّقُ مُلكُه"، وحَفِظنا أن قيصرَ أكرمَ كتابَ رسولِ الله ﷺ ووضعه في مَسْك[1] فقال رسول الله ﷺ: "ثُبِّت مُلكُه"، ولَمَّا كانت العربُ تأتي الشامَ والعراقَ للتجارة، فأسلم مَن أسلم منهم، شكَوْا خوفَهم من مَلِكي العراقِ والشام إلى رسول الله ﷺ فقال: "إذا هَلَك كسرى فلا كسرى بعده؟ إذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده". فباد مُلكُ الأكاسرة بالكلية، وزال ملكُ قيصرَ عن الشام بالكلية، وإن ثَبَت لهم مُلكٌ في الجملة، ببركةِ دعاءِ النبي ﷺ لهم حين عَظَّموا كتابه، والله أعلم"

[1] المَسْك: الجِلْد.

[1].عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "إذا هَلَك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصرُ فلا قيصرَ بعده، والذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله" [2].

٧. رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول:

قال البخاري في باب قوله تعالى: " يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (المنافقون: ٨).عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – قال: كنَا في غزاة، فكَسَعَ [3] رجلٌ من المهاجرين: رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاريّ: يا للأنصار، وقال المُهاجري: يا لَلمهاجرين. فسَمَّعَها اللهُ رسولَه ﷺ قال: "ما هذا؟ "، فقالوا: كَسَع رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال ﷺ: "دعوها فإنها مُنْتِنَةٌ".

قال جابر: وكانت الأنصارُ حين قَدِم النبي ﷺ أكثرَ، ثم كَثُر المهاجرون بعدُ، فقال عبدُ الله بنُ أُبَي: أوَ قَدْ فعلوا؟! واللهِ لئن رَجَعْنا إلى المدينة ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ" [4].

وفي البخاري من حديث زيدِ بن أرقمَ قال: "كنتُ في غَزاةٍ، فسمعت عبدَ الله بن أُبي يقول: لا تُنفِقوا على من عندَ رسولِ الله حتى ينفضُّوا مِن حوله، ولئن رجعنا ليُخرِجَنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ .. " الحديث.

كان ذلك في غزوة "بني المصطلِق" من خزاعة، وهي غزوة "المُريسيع"، وهو ماءٌ من مياهِهِم.

---

١) "البداية والنهاية" (٤/ ٢٦٨ - ٢٧١).
٢) رواه البخاري (٦/ ٢١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧)، ورواه البخاري (٦/ ٢١٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٣٧) عن جابر بن سمرة.
٣) المشهور فيه ضرب الدبر باليد، أو بالرِّجل، وذلك عند أهل اليمن شديد.
٤) رواه البخاري.

قال ابنُ إسحاق: "فبينا الناسُ على ذلك الماء، وَرَدَتْ واردةُ الناس، ومع عمرَ بنِ الخطاب أجيرٌ له من بني غِفار، يقال لـه: "جهجـاه بـن مسـعود" يقـودُ فَرَسَـه، فازدحَمَ جهجاه وسِنان بن دبر الجهَنيُّ- حليفُ بني عوفٍ من الخزرج- عـلى المـاء، فاقتتلا، فَصَرخ الجهني: يا معشرَ الأنصار.

وصرخ جهجاه: يا معشرَ المهـاجرين، فغضـب عبـدُ الله بـن أبي بـن سـلول، وعنده رَهطٌ من قومه، فيهم زيدُ بنُ أرقم، غلامٌ حَدَث، فقال: أوَ قَدْ فعلوهـا؟! قـد نافَرونا وكاثَرونا في بلادنا، والله ما أُعِدُّنا وجلابيبَ قريش [1] هذه إلا كما قال الأول: "سمِّنْ كَلْبَك يأكلْك"، أَما والله لئن رجعنا إلى المدينة، ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ .. ثم أقبل على مَن حَضَره من قومـه، فقـال: هـذا مـا فعلـتم بأنفسـكم، أحللتمـوهم بلادكم، وقاسَمتموهم أموالكم، أَما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لَتحوَّلوا إلى غيرِ دارِكم، فسمع ذلك زيدُ بنُ أرقم، فمشى بـه إلى رسـول الله ﷺ فـأخبره الخـبَرَ وعنده عمرُ بن اخطاب، فقال عمرُ: مُر به عبَّادَ بنَ بِشْـر فلْيقتلـه، فقـال رسـولُ الله ﷺ فكيف يـا عمـر إذا تَحـدَّثَ النـاسُ أن محمـدًا يقتـلُ أصـحابه؟ لا، ولكـن أَذِّنْ بالرحيل"، وذلك في ساعةٍ لم يكن رسولُ الله ﷺ يرتحلُ فيها، فارتحل الناسُ، وقـد مَشى عبدُ الله بن أبي بن سَلول إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيدَ بنَ أرقم بَلَّغه ما سمع منه، فحَلَف بالله: "ما قلتُ ما قال، ولا تكلمتُ بـه"، وكـان في قومـه شريفًـا عظيمًا، فقال مَن حضر رسولَ الله ﷺ من الأنصـار مـن أصـحابه: يـا رسـول الله، عسى أن يكون الغلامُ أَوْهَمَ في حديثه، ولم يَحْفظ مـا قـال الرجـلُ -حَـدَبًا عـلى ابـنِ أُبيٍّ ودفعًا عنه-، فلما استقلَّ رسولُ الله ﷺ وسار، لَقِيَه أُسـيد بـن حُضـير، فحيَّـاه بتحيةِ النبوة، وسَلَّم عليه، وقال: يا رسول الله، والله لقد رُحتَ في ساعةٍ منكـرة، مـا كنتَ تروحُ في مِثلها!

---

١) اسم كان يُلَقّب به المنافقون أصحابَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المهاجرين.

فقـال لـه رسـولُ الله ﷺ: " أوَ مـا بلغـك مـا قـال صـاحبك؟ "، فقـال: أيّ صاحب يا رسول الله؟ قال: "عبد الله بن أبي"، قال: وما قال؟، قال: "زعـم أنـه إنْ رَجَع إلى المدينة أَخْرَجَ الأعزّ منها الأذلَّ"، قال: فأنتَ والله يا رسول الله، تُخرِجُـه إن شئتَ، هو والله الذليل، وأنت العزيز، قال: يا رسول الله، ارفُـقْ بـه، فـوالله لقـد جاءنا اللهُ بك، وإنا لَننظِمُ له الخَرْزَ لِنُتَوِّجَه، فإنه يرى أنْ قد سَلَبْتَه مُلكًا.

ثم مشى رسولُ الله ﷺ بالناس يومَهم ذلـك حتـىَ أَمسـى، وليلـتَهم حتـى أصبح، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتى آذَتْهمُ الشمسُ، ثـم نـزل بالنـاس، فلـم يَلبثـوا أنْ وجَدوا مسَّ الأرض فوقعوا نيامًا، وإنما فعل ذلك؛ ليُشغِلَ الناس عن الحديث الذي كان بالأمس، من حديث عبد الله بن أبي".

فكيف كان جزاؤه؟

قال ابن إسحاق: "حدثني عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادة: أن عبد الله بـن عبـد الله بن أبي بن سلول أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريـدُ قَتْـلَ عبد الله بن أُبي فيما بلغك عنه، فإنْ كنتَ فاعلاً، فمُرنْي به، فأنـا أحمـلُ إليـك رأسَـه، فوالله، لقد عَلِمَتِ الخزرجُ ما كان بها من رجلٍ أبرَّ بوالدِه مني، وإنى أخشى أن تأمرَ به غيري فيقتلَه، فلا تَدَعَنى نفسي أن أنظرَ إلى قاتِل عبد الله بنِ أُبيٍّ يمشي في النـاس، فأقتلَه، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخلَ النـارَ، فقـال رسـول الله ﷺ: "بـل نترفَّـقُ بـه، ونُحسِنُ صحبتَه ما بقي معنا"، وجعل بعد ذلك إذا أحدثَ الحَدَث كـان قومُـه هـم الذين يعاتبونه، ويأخذونه، ويُعنِّفونه، فقال رسولُ الله ﷺ لعمرَ بن الخطاب حـين بَلَغه ذلك من شأنهم: "كيف ترى يا عمر؟ أمَا والله، لو قَتلتُه يومَ قلتَ لي، لأرْعَدَتْ له أنوفٌ، لو أمرتُها اليوم بقتله لقتلته"، فقال عمر: قد والله علمتُ لأَمـرُ رسـولِ الله ﷺ أعظمُ بركةً من أمري".

وقد ذكر عكرمةُ وابنُ زيد وغيرهما، أن ابنَه عبدَ الله – رضي الله عنه – وقـف لأبيه عبدِ الله بن أبي بن سلول عند مَضِيقِ المدينة، فقـال: "قِـفْ، فـوالله لا تـدخُلُها

حتى يأذنَ رسولُ الله ﷺ في ذلك"، فلما جاء رسولُ الله ﷺ استأذنه في ذلك، فأذن له، فأرسله حتى دخل المدينة [1].

وفي "التفسير" عند ابن كثير: "ذكر عكرمةُ وابنُ زيد وغيرهما: أن الناس لما قَفَلوا راجعين إلى المدينة، وقف عبدُ الله بنُ عبدِ الله هذا على بادٍ المدينة، واستلَّ سيفه، فجعل الناسُ يمرُّون عليه، فلما جاء أبوه عبدُ الله بن أبيٍّ، قال له ابنُه: وراءَك، فقال: مالك وَيْلَك؟ فقال: والله لا تجوزُ من هنا حتى يأذنَ لك رسولُ الله ﷺ فإنه العزيزُ وأنت الذليل، فلما جاء رسولُ ﷺ، وكان يسيرُ ساقةً [2]، فشكا إليه عبدُ الله بنُ أبيٍّ ابنَه، فقال ابنُه عبدُ الله: والله يا رسول الله، لا يدخُلُها حتى تأذنَ له، فأذِنَ له رسول الله ﷺ فقال: أمَّا إذْ أَذِنَ لكَ رسولُ الله ﷺ فجُزِ الآن.

قال هارون المَدَني: قال عبد الله بن عبدِ الله بنِ أُبَي بنِ سلول لأبيه: والله لا تدخلُ المدينةَ أبدًا حتى تقول: رسول الله الأعز، وأنا الأذل، قال: وجاء النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إنه بلغني أنك تريدُ أن تقتلَ أَبِي، فو الذي بعثك بالحقِّ ما تأملتُ وجهَه قطُّ هيبةً له، ولئن شئتَ أن آتيَك برأسه لآتينَّك، فإني أكرهُ أن أرى قاتلَ أبي".

فانظر إلى رأس النفاق، الذي لم يَهْدِ اللهُ قلبَه للإيمان، ولم يكتبْ له هذه الرحمةَ، وهذه النعمة، وتقفُ دونَ هذا الفيضِ المتدفِّق من النور والتأثير إحْنةٌ في صدره، أن لم يكن مَلِكًا على الأوس والخزرج، بسبب مَقْدِم رسولِ الله ﷺ إلى المدينة، فتكُفُّه هذه وحدَها عن الهدى، ويقول ما قال، قولةً يتجلَّى فيها خُبثُ الطبع، ولؤمُ النحيزة، فيكونُ جزاؤه من جنس عمله وقوله، على يدِ ابنه، ليتقرَّر بالتجربةِ الواقعة مَن هو الأعزُّ، ومَن هو الأذلُّ، في نفسِ الواقعة، وفي ذاتِ الأوان، ولم يَدخُلها الأذلُّ إلاَّ بإذن الأعز.

---

١) البداية والنهاية لابن كثير، ٣/ ١٥٨ - ١٦٠

٢) في مؤخرة الجيش.

ويضمُّ اللهُ – سبحانه – رسولَه والمؤمنين إلى جانبه، ويضفِي عليهم من عِزَّته، وهو تكريم هائل لا يُكرِمُه إلاَّ الله، وأيُّ تكريمٍ بعدَ أن يوقِفَ اللهُ – سبحانه – رسولَه والمؤمنين معه إلى جواره، ويقول: "ها نحن أولاء، هذا لواءُ الأعزاء، وهذا هو الصفُّ العزيز".

عِزةٌ مستمَدَّةٌ من عِزَّته، لا تهونُ ولا تهان، ولا تنحنى ولا تلين، ولا تُزايلُ القلبَ المؤمن في أَوجِ اللحظات، إلا أن يتضعضعَ فيه الإيمان، فإذا استقرَّ الإيمانُ ورَسَخ، فالعزَّةُ معه مستقِرَّةٌ راسخة.

انظر إلى هذا الذي كان وجيهًا عند قومه، جاء إليه رسولُ الله ﷺ وهو على حِمارةٍ، مرَّ بها على طريق سَبِخةٍ، وجعل يدعوه إلى الإيمان، وهو يقول له: "ابعُدْ عني يا محمد، فإن رائحةَ حمارِك تؤذيني، فيقول له ابن عمٍّ له: والله لرَيحُ حمارِ رسول الله أطيبُ من رِيحك".

أيَّ هوانا كان هذا!! وصَدَق الله العظيم إذ يقول عن المنافقين﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ...﴾ [سورة المنافقون: الآية ٤] أشباحٌ وقوالب، ليس وراءَهم ألبابٌ وحقائقُ، كالجَوز الفارغ، مُزيَّنٌ ظاهره، ولكنه لِلَعِبِ الصِّبيان.

هذا الذي تولَى كِبْرَه، وخاض في عِرضِ أمَ المؤمنين عائشة في قصةِ الإفك، فقال الله –عز وجل–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة النور: الآية٢٣: ٢٤]، جزاء وفاقًا، كما استطالت.

وظلَّ رأسُ المنافقين على نِفاقِه إلى أن مات، وأُخذ به إلى أُمِّه الهاوية إلى الدَّرْكِ الأسفلِ من النار، تُشَيَعُه لَعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين [1].

١) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ، ١/ ٢٩٤

٨. القرطاء البكريون:

بعث رسول الله ﷺ إلى القرطاء البكريين، بناحية "ضرية" في نجد شرقي المدينة، بكتاب يدعوهم فيه إلى الإسلام، فاستهزؤوا به وبكتابه، فأخذوا الصحيفة التي تحمل دعوتهم إلى التوحيد، فغسلوها من الحبر، ثم رقعوا بها است دلو لهم، وأبوا أن يجيبوا الرسول ﷺ إلى ما دعاهم إليه، فأنكرت امرأة عاقلة منهم ما فعلوا بكتاب الرسول ﷺ وهي أم حبيب بنت عامر بن خالد بن عمرو ابنة ابن أخي سيد القوم حارثة بن عمرو، واستهجنت ما صنعوا، فقالت: وقولها يدل على أنها مسلمة:-

إذا ما أتتهم أية من محمد محوها بماء البئر فهي عصير

فانظر كيف كان جزاؤهم من جنس عملهم.

يذكر أصحاب السير أن القرطاء لما فعلوا بكتاب رسول الله ﷺ ما فعلوا؛ صاروا دائما أهل رعدة وعجلة وكلام مختلط وأهل سفه، وكان الذي جاءهم بالكتاب رجل من عرينة، يقال له: عبد الله بن عوسجة.

قال الواقدي: "رأيت بعضهم عيا لا يبين الكلام" [1].

جرد رسول الله ﷺ حلة عسكرية بقيادة الضحاك بن سفيان الكلابي، في شهر ربيع الأول، سنة تسع هجرية، فهزمهم في مكان بنجد، يقال له: "زج لاوة"[2]، فدعوهم إلى الإسلام فأبوا، فقاتلوهم فهزموهم، ولحق الأصيد أباه سلمة، وسلمة على فرس له في غدير بالزج، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان، فسبه وسب دينه، فضرب الأصيد عرقوبي فرس أبيه فوقع، فأمسك أباه إلى أن جاءه أحد المسلمين فقتله، ولم يقتله ابنه [3].

---

١) مغازي الواقدي ،٢/ ٧٥٤، ٣/ ٩٨٢

٢) زج لاوه: موضع نجدي.

٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ،٢/ ٣٣١ ، شرح المواهب ، ٤/ ٤١

٩. سلام ابن أبي الحقيق:

كان سلام بن أبي الحقيق من يهود بني النضير ومن أحبار اليهود الذي ناصبوا رسول الله ﷺ العداوة من أول يوم، وهو من أحبار يهود الذين نزل فيهم القرآن لحقدهم على رسول الله ﷺ ولكونهم كانوا يتعنتونه [١]، ولكذبهم وزورهم وقولهم: "إن دين قريش خير من الإسلام" [٢].

وحين حاصر النبي ﷺ بني النضير وأجلاهم عن المدينة، كان سلام يهدد المسلمين قائلا: "إن حلفائي بخيبر لعشرة آلاف مقاتل"، فبلغ رسول الله ﷺ قوله، فتبسم [٣]، ثم دارت الدائرة على بني النضير، فاستسلموا للمسلمين.

وكان سلام من التجار الكبار الذين يتعاطون الربا، وكان له على أسيد ابن حضير عشرون ومئة دينار إلى سنة، فلما أجلاهم النبي ﷺ صالحه سلام على أخذ رأس ماله ثمانين ديناراً، وأبطل ما فضل [٤]، وصنع يهود المرابون صنيعه مكرهين.

وأعطى النبي ﷺ سعد بن معاذ سيف سلام بن أبي الحقيق، وكان سيفاً له ذكر عندهم[٥]، وكان من جملة غنائم بني النضير.

وكان سلام وحيي بن أخطب على رأس من حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان لحرب رسول الله ﷺ.

عن عروة: "أنه كان ممن أعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول ﷺ"[٦].

---

١) أي: يشقون عليه، ويحاولون إنزال العنت به.
٢) سيرة ابن هشام، ٢/ ١٣٣، ١٣٤، ٢/ ١٩٠
٣) مغازي الواقدي، ١/ ٣٧٣
٤) مغازي الواقدي، ١/ ٣٧٤
٥) مغازي الواقدي ، ١/ ٣٧٩
٦) فتح الباري، ٧/ ٣٩٨

وكانت غزوة الخندق ثمرة من ثمرات حقده وكيده الدائب للإسلام هو وحيي بن أخطب.

ولسلام أخوان مشهوران من أهل خيبر: أحدهما كنانة -وكان زوج صفية بنت حيي قبل النبي ﷺ وأخوه الربيع بن أبي الحقيق، وقتلهما النبي ﷺ جميعا بعد فتح خيبر [1].

لقد كان سلام بن أبي الحقيق من أخطر أعداء النبي ﷺ والإسلام والمسلمين، وكان لا بد من وضع حد لنشاطه المخرب، فقد كان لا يريح ولا يستريح، ولكن القضاء عليه لم يكن سهلاً ميسوراً، وبخاصة وهو في حصنه الحصين، بين أهله وذويه الأقوياء، في وسط خيبر المحصنة ذات الحصون والقلاع، التي يحميها عشرة آلاف مقاتل [2]، والتي تستطيع إرسال ثلاثة آلاف مقاتل فورا[3]، فلابد من أن يوكل أمره إلى بطل مقدام، وكان هذا البطل هو عبد الله بن عتيك[4].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: "بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم [5]، فقال عبد الله لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع [6]بثوبه كأنه يقضي حاجة -وقد دخل الناس-، فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فأدخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت، فكمنت [7]، فلما دخل الناس

١) فتح الباري، ٧/ ٣٩٧
٢) مغازي الواقدي، ١/ ٣٧٣
٣) مغازي الواقدي، ١/ ٣٩٣
٤) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ، ص ٣٣٥
٥) راح الناس بسرحهم: أي رجعوا بمواشيهم التي ترعى.
٦) تقنع بثوبه: أي تغطى به ليخفى شخصه لئلا يعرف.
٧) كمنت: أي: اختبأت.

أغلق الباب ثم علق الأغاليق على ود [١]. قال: فقمت إلى الأقاليد [٢] فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده [٣]، وكان في علالي [٤] له، فلما ذهب عنه أهل سمره سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابا أغلقت علي من داخل، قلت: إن القوم إن نذروا [٥] بي لم يخلصوا إلي حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع. قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت [٦] فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش ، فما أغنيت [٧] شيئاً، وصاح فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل.

إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف. قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره؛ فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى [٨] أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي [٩] فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعى [١٠] أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء النجاء [١١]، فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى

---

١) الأغاليق: جمع غلق بفتح أوله: ما يغلق به الباب والمراد بها المفاتيح. الود: بفتح الواو وتشديد الدال هو الوتد.
٢) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح.
٣) يسمر عنده: أي: يتحدثون ليلاً.
٤) علالي: جمع علية بتشديد التحتانية وهي الغرفة.
٥) نذروا بي: أي: علموا، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشيء الذي يحذر منه.
٦) أهويت نحو الصوت: أي قصدت نحو صاحب الصوت.
٧) فما أغنيت شيئا أي لم أقتله.
٨) أرى: أي أظن. وذكر ابن إسحاق في روايته أنه كان سيء البصر.
٩) فانكسرت ساقي: وفي رواية: "فانخلعت رجلي عصبتها". ويجمع بينهما بأنها انخلعت من المفصل وانكسرت من الساق.
١٠) أنعى: بفتح العين، كذا ثبت في الروايات، قال ابن التين: هي لغة والمعروف أنعو، والنعي: خبر الموت، والاسم: الناعي.
١١) النجاء: أي: أسرعوا.

النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: "ابسط رجلك"، فبسطت رجلي، فمسحها فكأني لم أشتكها قط"[1].

١٠. شيطان اليهود حيي بن أخطب -لعنه الله-:

إذا تجمع خبث اليهود ودنسهم وخستهم وكيدهم ومكرهم في شخص أو شيطان من شياطين الإنس، لكان هو حيي بن أخطب. فهو عدو رسول الله ﷺ. وله من ذلك بين يهود موقع الصدارة.

كان حيي بن أخطب على رأس الشياطين اليهود الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ وهم: سلام بن أبي الحقيق النضري، وكنانة ابن أبي الحقيق النضري، وهوذة بن قيس الوائلي، وأبو عمار الوائلي. خرجوا حتى قدموا على قريش في مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴾ إلى قوله ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾ [سورة النساء: الآية ٥١: ٥٥] فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ.

ثم خرج هذا الشيطان حيي في أولئك النفر من يهود، حتى جاؤوا غطفان – من قيس عيلان- فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا معهم فيه.

---

١) رواه البخاري (٤٠٣٩).

وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي -صاحب عقد بني قريظة وعهدهم مع رسول الله ﷺ، فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغارب [1] حتى نقض كعب بن أسد عهده مع رسول الله ﷺ.

ذهب شيطان خيبر -حيي بن أخطب - إلى حصن بني قريظة قائلا: "ويحك يا كعب، افتح لي، فقال له كعب -وقد تمنع-: يا حيي، إنك امرؤ مشؤوم، وإني عاهدت محمدا، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا، فقال له حيي: ويحك، افتح لي أكلمك، فقال: ما أنا بفاعل، فغاظ ذلك حييا، فقال لكعب: والله ما أغلقت دوني إلا تخوفا على حشيشتك [2] أن آكل معك منها، فخجل منه كعب، ففتح له.

فقال له حيي: جئتك بعز الدهر، جئتك بقريش حتى بجمع الأسيال، وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب "أحد"، قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه، فقال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وكل ما يخشى، فإني لم أر في محمد إلا صدقاً ووفاءً، جئتني -يا حيي- بجهام قد هراق ماؤه، فهو يرعد ويبرق ليس فيه شيء [3].

ثم أردف كعب قائلاً: ويحك يا حيي، فدعني وما أنا عليه، فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء، وما زال به حيي وبقومه، يفتل في الذروة والغارب، حتى أجابوه إلى ما طلب، فوافقوا على نقض العهد، والغدر بالمسلمين، والانضمام إلى جيش الأحزاب، ولم يشذ إلا الزعيم القرظي -عمرو بن سعدى - وقال: والله لا أغدر بمحمد أبداً .. وبقي على عهده، وسانده في موقفه النبيل هذا ثلاثة من اليهود وهم: ثعلبة، وأسيد -ابنا سعيه- وأسد بن عبيد، وأخذ كعب بن أسد الصحيفة ومزقها.

---

١) أي: ما زال يروضه ويخاتله.
٢) البر يطحن غليظا.
٣) يعني بذلك كعب أن جيوش الأحزاب على كثرتها؛ ليست إلا كالسحاب العظيم؛ الذي تصك رعوده الآذان، ويخطف برقه الأبصار، وليس فيه قطرة ماء.

غدروا برسول الله ﷺ وجيوش الأحزاب توشك الفتك بالمدينة، وبلغت القلوب الحناجر.

أوفد إليهم النبي ﷺ وفدا من الأنصار، على رأسه سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، فقالوا للوفد -وقد تملكهم الغرور-: الآن جئتم تطلبون منا الوفاء بالعهد الذي بيننا وبين محمد، وهو الذي كسر جناحنا، وأخرج إخواننا بني النضير، اذهبوا، لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، من هو رسول الله هذا؟! فغضب سيد الخزرج، وأخذ يشاتم اليهود، فشاتموه، وأغضبوه كثيرا.

غير أن سيد الأوس سعد بن معاذ -وهو حليف هؤلاء اليهود- قد دخل في الأمر، وقال لسعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، وأقبل عليهم ناصحا ومحذرا: إنكم قد علمتم الذي بيننا وبينكم يا بني قريظة، وأنا أخاف عليكم مثل يوم بني النضير أو أمر منه، فقالوا لسعد: أكلت أير أبيك، فقال لهم سعد -وكان حليما-: غير هذا من القول كان أجمل بكم وأحسن يا بني قريظة . فتمادى بنو قريظة في غيهم، وصاروا ينالون من النبي ﷺ ويقعون فيه، وهنا يئس سعد بن معاذ من عودة حلفائه إلى جادة الصواب، فعاد الوفد يحمل إلى النبي ﷺ بواسطة كلمة سر: "عضل والقارة"، أن القوم قد غدروا، دون أن يعلم أحد من المعسكر هذا الخبر المزعج.

١١. وحين أخزى الله الأحزاب، أتى وقت حساب بني قريظة:

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: "لما رجع النبي ﷺ من الخندق ووضع السلاح واغتسل، أتاه جبريل عليه السلام، فقال: قد وضعت السلاح! والله ما وضعناه، فاخرج إليهم. قال: "فإلى أين"؟ قال: ها هنا - وأشار إلى قريظة -، فخرج النبي ﷺ إليهم" [١].

---

١) رواه البخاري في "صحيحه" -كتاب المغازي- باد مرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة حديث (٤١١٧).

وكان توجه النبي ﷺ إليهم لسبع بقين من ذي القعدة، وأنه خرج إليهم في ثلاثة آلاف [1].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: "كأني انظر إلى الغبار ساطعا [2] في زقاق بني غنم، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة" [3].

وعن عبيد الله بن كعب: "أن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب وجمع عليه اللأمة واغتسل واستجمر، تبدى له جبريل، فقال: عذيرك من محارب، فوثب فزعا، فعزم على الناس ألا يصلوا العصر حتى يأتوا بني قريظة، فلبس الناس السلاح، فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس، قال: فاختصموا عند غروب الشمس، فصلت طائفة العصر، وتركتها طائفة، وقالت: إنا في عزمة رسول الله ﷺ، فليس علينا إثم، فلم يعنف واحدا من الفريقين" [4].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة"، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فلم يعنف واحدا منهم" [5].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: " فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام وهو ينفض رأسه من الغبار، فقال: وقد وضعت السلاح! والله ما وضعته، اخرج إليهم. قال النبي ﷺ: "فأين؟ "، فأشار إلى بني قريظة. فأتاهم رسول الله ﷺ فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد. قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم." [6].

---

١) "فتح الباري" (٧/ ٤٧١).
٢) ساطعا: مرتفعا.
٣) رواه البخاري (٧/ ٤٧٠) "فتح" حديث رقم (٤١١٨).
٤) أخرجه الطبراني والبيهقي بإسناد صحيح عن عبيد الله بن كعب
٥) رواه البخاري بلفظ "العصر" (٤١١٩)، ومسلم، وأبو يعلى، وابن سعد، وابن حبان
٦) رواه البخاري (٤١٢٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد ابن معاذ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: "قوموا إلى سيدكم -أو خيركم-"، فقال: "هؤلاء نزلوا على حكمك"، فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم. قال: "قضيت بحكم الله". وربما قال: "بحكم الملك"[1].

ولقد نصح عمرو بن سعدى -وهو من كبار زعماء بني قريظة- قومه، وأنبهم ووبخهم على نقضهم العهد الذي بينهم وبين المسلمين، ونصحهم: "يا بني قريظة، لقد رأيت عبرا، رأيت دار إخواننا خالية بعد العز والشرف والرأس الفاضل، تركوا أموالهم قد تملكها غيرهم، وخرجوا خروج ذل". ثم أكد لهم -كعالم من علماء التوراة- أنه لا يعادي أحد محمداً صلى الله عليه وسلم إلا كان مصيره الخسران، فقال: "لا والتوراة، ما سلط هذا[2] على قوم قط ولله بهم حاجة، وقد أوقع ببني قينقاع، وكانوا أهل عدة وسلاح ونخوة، فلم يخرج أحد منهم رأسه حتى سباهم، فكلم فيهم فتركهم على إجلائهم من يثرب".

ثم دعا عمرو بن سعدى قومه إلى الدخول في الإسلام، ليحقنوا دماءهم، ويتبعوا الحق، قائلا: "يا قوم، قد رأيتم ما رأيتم، فأطيعوني، وتعالوا نتبع محمدا، فوالله إنكم لتعلمون أنه نبي، وقد بشرنا به علماؤنا".

ثم لا زال ابن سعدى يخوفهم بالحرب والسبي، وأقبل على سيدهم كعب بن أسد، وقال له: "والتوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام يوم طور سيناء، إنه العز والشرف في الدنيا".

---

١) رواه البخاري (٤١٢١).
٢) يعني: النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وبينما عمرو بن سعدى يتحدث إلى قومه في ذلك الاجتماع، إذا بطلائع الجيش النبوي تظهر عليهم زاحفة نحو حصونهم، وهنا قطع الزعيم اليهودي ابن سعدى حديثه قائلاً: "هذا الذي قلت لكم".

ومع هذا فقد رفض بنو قريظة نصيحة عمرو بن سعدى الذي دعاهم إلى الدخول في الإسلام، فتقدم إليهم بمحاولة أخيرة، باقتراح آخر، فقال لهم: "لقد خالفتم محمدا ، ولم أشرككم في غدركم، فإن أبيتم أن تدخلوا معه في دينه، فاثبتوا على اليهودية، وأعطوا الجزية، فوالله، ما أدري أيقبلها منكم أم لا؟ "، ولكنهم رفضوا أيضا هذا الاقتراح؛ حيث كان جوابهم -والغرور لما يزل يشحن رؤوسهم: "نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه، القتل خير من ذلك".

وهنا أعلن عمرو بن سعدى مفارقته لقومه، وخرج من حصون قومه بني قريظة، بعد أن طوقها الجيش الإسلامي من كل مكان، وكان خروجه ليلا.

وعندما خرج هذا الزعيم اليهودي من حصون قومه، مفارقا لهم - وكان خروجه ليلاً- التقى به رجال الحرس النبوي، الذين كانوا يقومون بأعمال الدورية: فأتوا به إلى قائدهم محمد بن مسلمة الأنصاري. قال ابن إسحاق: "خرج عمرو بن سعدى القرظي، فمر بحرس رسول الله ﷺ وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة، فلما رآه ابن مسلمة استوقفه قائلا: من هذا؟ قال: أنا عمرو بن سعدى -وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبدا-. فقال ابن مسلمة -حين عرف أنه ابن سعدى-: اللهم لا تحرمني إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله ، فخرج على وجهه حتى بات- مستأمناً - في مسجد رسول الله ﷺ تلك الليلة بالمدينة، ثم خرج فلم يدر أين توجه من الأرض".

ولقد وصف النبي ﷺ عمرو بن سعدى بالوفاء، وذلك أنه لما ذكرت له قصة إلقاء الحرس القبض عليه، ثم إخلاء محمد بن مسلمة سبيله، قال: "ذلك رجل نجاه الله بوفائه" [1].

أما يهود بني قريظة، فإنهم لما نظروا إلى طلائع الجيش النبوي تتقدم -بقيادة علي بن أبي طالب- فاضت نفوسهم الشريرة ببعض ما تختزنه من خبث ودناءة ووضاعة، وأسمعوا ابن عم رسول الله ﷺ في نبي الله ﷺ ونسائه الطاهرات الطيبات من السب والشتم والقذف، ما لم يسمح أحد من المؤرخين لنفسه أن يورد نصه؛ لفظاعته وبشاعته، وكل الجواب الذي سمعوه من علي: "السيف بيننا وبينكم"، وأشفق علي -وهو أول من سبق باللواء إلى بني قريظة- من أن يسمع الرسول ﷺ في نفسه وفي نسائه ذلك السب القبيح.

وأناب علي في حمل اللواء أبا قتادة الأنصاري، وانطلق مسرعا نحو رسول الله ﷺ ، واستوقفه على بعد من حصون اليهود، وطلب منه أن يقف بعيدا عن هذه الحصون؛ لئلا يتأذى بسماع ما فاه به اليهود من سب وقذف، فقال علي: لا عليك يا رسول الله أن تدنو من هؤلاء الأخابث، فقال النبي ﷺ: "لعلك سمعت منهم في أذى؟ " قال: نعم يا رسول الله، فقال ﷺ "لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا".

ثم واصل الرسول ﷺ تقدمه نحو حصون اليهود، حتى إذا دنا من حصون قريظة الغادرة، نادى نفرا من قادتهم، فلما ظهروا في أبراج حصونهم قال لهم: "يا إخوان القردة وعبدة الطاغوت، هل أخزاكم الله، لأنزل بكم نقمته؟! "، وهنا أسقط في أيدي اليهود، فأنكروا أن يكونوا شتموه ونساءه، وانطلقوا يحلفون كذبا، أنهم ما فاهوا بشيء مما بلغه بهذا الشأن، ثم اندفعوا في ليونة الأفاعي يسمعون رسول الله ﷺ من لين القول، وطيب الكلام، وجميل الإطراء، ما ظنوا أنه سيساهم في تخفيف عقوبة خيانتهم العظمى، فقالوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً.

---

١) "سلسلة معارك الإسلام الفاصلة" لبشاميل، و"البداية والنهاية".

واشتد حصار المسلمين لليهود، وطلبوا المفاوضة والسماح لهم بالخروج من يثرب مع نسائهم وذراريهم، وما تقدر الإبل على حمله من متاع - سوى السلاح- على أن يتركوا بقية كل ما يملكون في يثرب للمسلمين. ورفض طلبهم.

وحاصرهم المسلمون خمس عشرة ليلة -كما يقول ابن سعد- أو خمسا وعشرين ليلة -كما يقول ابن إسحاق-: حاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف في قلوبهم الرعب، فعرض عليهم رئيسهم كعب ابن أسد أن يؤمنوا، أو يقتلوا نساءهم وأبناءهم ويخرجوا مستقتلين، أو يبيتوا المسلمين ليلة السبت. فقالوا: لا نؤمن، ولا نستحل ليلة السبت، وأي عيش لنا بعد أبنائنا ونسائنا؟!.

وقرر الصحابة اقتحام حصون اليهود، مهما كان الثمن، وصاح علي ابن أبي طالب حامل لواء الجيش، وابن عمه الزبير بن العوام، صاح: والله "لأذوقن ما ذاق حمزة، ولأفتحن حصنهم".

ولما سمع اليهود هذا الإنذار من حامل لواء الجيش علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأيقنوا أن الهجوم على حصونهم أمر لا مفر منه، طلبوا إيقاف الهجوم، وأعلنوا الاستسلام والنزول على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم دونما قيد أوشرط.

وسارع اليهود إلى فتح أبواب معاقلهم وحصونهم فورا، بعد أن ألقوا سلاحهم، وأخذوا في مغادرة الحصن مستسلمين، وأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - باعتقال الرجال ووضع القيود في أيديهم، وقد تم ذلك تحت إشراف محمد بن مسلمة -قائد الحرس النبوي- وقد حبس الرجال من بني قريظة، وعددهم حوالي ثمانمئة مقاتل في دار أسامة بن زيد [1]،أما النساء والأطفال؛ فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أوكل أمرهم إلى عبد الله بن سلام، أن يحفظوا في مكان ليس فيه صفة

---

١) الكامل لابن الأثير ، ٢/ ١٢٧

الحبس والتضييق، وأنزلوا دار الضيافة؛ وهي دار ابنة الحارث النجارية المعدة لنزول الوفود التي تقصد المدينة، وكان عدد هؤلاء النساء والذراري يناهز الألف.

وشفع الأوس لحلفائهم يهود بني قريظة عند رسول الله ﷺ ، ففوض أمر هؤلاء اليهود إلى سيد الأوس سعد بن معاذ، قال رسول ﷺ : "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم؟ ". قالوا: بلى، قال: "فذاك سعد بن معاذ".

عن جابر بن عبد الله أنه قال: "رمي سعد بن معاذ، فقطعوا أكحله، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فحسمه أخرى فانتفخت يده فنزف، فلما رأى ذلك قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة .. فاستمسك عرقه فما قطر، حتى نزلوا على حكم سعد، فحكم أن تقتل رجالهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم، فلما فرغ منهم انفتق عرقه فمات.رضي اليهود، ونزلوا على حكم الله أولا، ثم على حكم سعد بن معاذ ثانيا، لما قال لهم: أترضون بحكمي، قالوا: نعم، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وتسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم.

فأخذهم من الغم ما أخذهم، وصعق اليهود لهذا الحكم الصارم، وعلاهم الذهول، وخيم عليهم الوجوم.

وأمر بحفر خنادق عميقة في سوق المدينة، وأمر رسول الله ﷺ بإحضار الرجال المحكوم عليهم، وأمر بإعدامهم، فأعدموا دفعة بعد دفعة، حتى لم يبق منهم أحد، وكان الصحابة كلما تم إعدام دفعة من هؤلاء اليهود قذفوا في الخنادق، وواروهم بالتراب.

واختلف المؤرخون في عدد اليهود الذين تم إعدامهم، فالبعض يقول: إنهم ما بين ستمئة إلى سبعمئة، والبعض الآخر يقول: إنهم ما بين الثمانمئة إلى التسعمئة.

ولقد أعدم هؤلاء اليهود في ليلة واحدة، وجرت عملية الإعـدام عـلى ضـوء مشاعل سعف النخيل [1]، وتولى عملية قتل اليهود الخونة علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وكان بنو قريظة المحتجزون في السجن مع سيدهم كعب بن أسـد، كلـما استدعى الحرس جماعة منهم لإعـدامهم، لاذوا بسـيدهم كعـب يسـألونه في جـزع وارتباك: "ما تراه يصنع بنا؟ فيجيبهم: أفي كل موطن لا تعقلون؟! هو الله القتل".

فكان جزاؤهم من جنس ما أرادوا للمسلمين.

وأبى الله إلا أن يصلوا هم إلى النهاية المريبة، التي أرادوا للمسلمين الوصـول إليها، ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ [سورة فاطر: الآية ٤٣].

وهنا أمر آخر: أن الحكم الذي أصدره سعد بن معاذ على يهـود بنـي قريظـة، وأقره النبي ﷺ وقام بتنفيذه، قد جاء تماما وفـق الشـريعة الموسـوية عنـد اليهـود أنفسهم، كما في التـوراة عنـدهم، فقـد نـص "الإصـحاح العشـرون" مـن "سـفر التثنية": "وإن تسالمك أي قرية، بل حاربتك فحاصرهـا، وإذا دفعهـا الـرب إلهـك إلى يدك، فاضرب جميع ذكورهم بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكـل ما في المدينة كل غنيمتها، فتغتنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك" [2].

وهذا النص الصريح في كتاب اليهود المقـدس، يجعـل هـؤلاء يـرون أن مـن حقهم تنفيذ حكم الإعدام فيمن وقع في أيديهم من أعدائهم الرجال، وسبي نسائهم وذراريهم، ومصادرة كل ممتلكاتهم، وهذا يعني أن اليهود لو نجحـوا في مـؤامرتهم، وتم لهم ولأحلافهم التغلب على المسلمين، لما ترددوا لحظة في إبادة المحاربين منهم، وسبي نسائهم وذراريهم، ومصادرة أموالهم تمشيا مع حكم كتابهم المقـدس، الـذي جاء صريحا في "سفر التثنية".

---

١) السيرة الحلبية، ٢/ ١٢٠

٢) سفر التثنية، ٢٠/ ١٣ – ١٤ ، تقلا عن من معارك الإسلام الفاصلة ، ٢٤٦/٤

وهكذا جاءت العقوبة التي أنزلها المسلمون باليهود، هي نفس العقوبة التي كان هؤلاء اليهود ينوون إنزالها بالمسلمين، لو وقعوا في أيديهم.

فالحكم النازل باليهود إنما جاء وفقا لشريعتهم، فهو إذا جزاء وفاق [1].❋

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: الآية٢٦: ٢٧]

وأي موقف خانت فيه يهود رسول الله ﷺ أو حاولت خداعه والغدر به، كان على رأسهم حيي الذي كان يعلم صدق رسول الله ﷺ ونبوته حتى مكن الله من رقبته.وأراح الله المسلمين من شره ، فقد أصاب ما أصاب بني قريظة لأنه كان معهم في حصونهم، وشمله حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فقتل هو ومقاتلة بني قريظة.وذهب إلى مزبلة التاريخ . وبرئت منه ابنته صفية بنت حيي التي صارت أما للمؤمنين.

قال ابن إسحاق يصف موقف حيي بن أخطب ساعة إعدامه :وأتي بحيي بن أخطب – عدو الله – مجموعة يداه إلي عنقه بحبل ، فلما نظر إلي رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكن من يخذل الله يخذله الله ، وزاد السهيلي:أن النبي ﷺ قال ليحي بن أخطب حين رآه موثقا:ألم يمكني الله منك؟ فقال:بلي ، ولكن من يخذلك يخذل .وحينما تقدم لضرب عنقه قال: أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر، وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه [2].

1) محمد بن أحمد باشميل ، من معارك الإسلام الفاصلة ، المكتبة السلفية – القاهرة ، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م ، ٢٤٦/٤

2) تفسير عبد الرزاق ، ٨٤/١، ابن هشام ، ٢/ ٢٤١، مغازي الواقدي ، ٢/ ٥١٦.

١٢. أُسَيرُ زَارِمٍ ملك خيبر:

نصبه اليهود ملكا على خيبر خلفاً لأبي رافع ، وجدٌ أسير لشن حمله أحزاب جديدة على المسلمين في المدينة وحاول أن يصنع برسول ﷺ ما لم يصنعه قادة اليهود الذين سبقوه ، فذهب إلي مناطق القبائل النجدية غطفان وغيرها وصار ينتقل بين مضارب البدو ومخيمات العشائر الوثنية يحرضها على رسول الله ﷺ ويجمعها لغزو المدينة ، وأرسل رسول الله ﷺ ثلاثين من أصحابه على رأسهم عبد الله بن رواحة لأسير بن زارم برسالة شفوية تتضمن دعوة ملك اليهود للذهاب إلي المدينة لمقابلة النبي ﷺ بنفسه لينهوا حالة الحرب القائمة بين الفريقين على أن يبقيه النبي ﷺ أميراً على خيبر ، حيث قال له ابن رواحة:يا أُسير إن رسول الله ﷺ بعثنا إليك لتخرج إليه فيستعملك على خيبرويحسن إليك.

وخرج أسير بن زارم في ثلاثين من خلصاء أصحابه بصحبة عبد الله بن رواحة وصحبه وقد أردف كل رجل من أصحاب عبد الله بن رواحة رجلاً من أصحاب أسير بن رارم وكان سيد خيبر أُسير رديف عبد الله بن أنيس.

وبينما كانوا سائرين في اتجاه المدينة حاول اليهود الغدر بالمسلمين، فأهو أُسير بن زارم بيده إلي سيف عبد الله بن أنيس ليقتله إلا أن ابن أنيس كان أسرع منه ، إذ فطن لذلك ، فانتزع السيف من يده وقتله، ثم دارت معركة بين بقية الركب، تمكن فيها المسلمون من القضاء على ابن زارم وجماعته ما عدا رجلاً واحداً تمكن من الفرار [1].

١) الطبقات الكبرى، ٢/ ٩٢، تاريخ الطبري، ٣/ ١٥٥، عيون الأثر، ٢/ ١١١، سيرة ابن هشام ، ٣/ ٢٣٧.

١٣. شـيطان يهـود: كعـب بـن الأشـرف -لعنـه الله- عـدو الله ورسـوله:

وينتسب كعب بن الأشرف إلى بني نبهان من قبيلة طيء، كان أبوه قد أصاب دما في الجاهلية، فقدم إلى المدينة وحالف يهود بني النضير وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا. وكان كعب شاعراً، ناصب الإسلام العداء، وقد غاظه انتصار المسلمين على قريش في معركة بدر، فسافر إلى مكة يهجو النبي ﷺ ويحرّض قريشا على الثأر لقتلاهم الذين كان ينوح عليهم ويبكيهم في شعره، ويدعو إلى القضاء على الرسول والمسلمين. ولم يكتف كعب بذلك، بل إنه فضّل عقائد الجاهلية على الإسلام حين سأله أبو سفيان، وأكد أنها أحب إلى الله وأقرب إلى الحق، فأنزل الله بشأنه قوله تعالى﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: الآية ٥١].

وعلى الرغم من كل ذلك، فإنه عاد بصلافة إلى المدينة، وبادر بالتشبيب بنساء المسلمين بكل وقاحة، وقد أهدر الرسول ﷺ دمه وأمر بقتله فقال رسول الله ﷺ: "من لي بابن الأشرف، فإنه يؤذي الله ورسوله والمؤمنين؟"، فقال له محمد بن مسلمة: أنا له يا رسول الله، أنا أقتله إن شاء الله، فقال: "فافعل إن قدرت على ذلك".

ومكث محمد بن مسلمة أياما مشغول النفس بما وعد رسول الله ﷺ من نفسه في قتل أبن الأشرف، فانتدبه رسول الله ﷺ، وانتدب معه سلكان

ابن سلامة بن وقش أبا نائلة -أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة-، وعباد بن بشر بن وقش، والحارث بن أوس بن معاذ -

وهما من بني عبد الأشهل-، وأبا عبس بن جبر أخا بني حارثـة ، وأذن لهـم رسـول الله ﷺ أن يقولوا غير ما يعتقدون [١]، على سبيل جواز ذلك في الحرب.

وقدموا إلى ابن الأشرف سلكان بن سلامة، فقصد له وأظهر له موافقته عـلى الانحـراف عـن رسـول الله ﷺ، وشـكا إليـه ضـيق حـالهم، وكلمـه في أن يبيعـه وأصحابه طعاما، فيرهنوه سلاحهم، فأجابهم إلى ذلك.

ورجع سلكان إلى أصحابه، فخرجـوا إلى ابـن الأشرف اليهـودي، وشـيعهم رسـول الله ﷺ إلى بقيـع الغرقـد [٢] في ليلـة مقمـرة، فـأتوا كعبـاً، فخـرج إلـيهم من حصنه، فتماشوا، فوضعوا عليه سيوفهم، ووضع محمد ابن مسلمة مغولاً [٣] كان معه في ثنته [٤] فقتله.

وصاح ابن الأشرف صيحة شديدة انذعر بها أهل الحصون حواليه، فأوقـدوا النيران دون جدوى.وجرح الحـارث بـن أوس في رجلـه بـبعض سـيوف أصـحابه أو في رأسه، فنزفه الدم، وتأخر قليلا عن أصحابه الذين سلكوا على بني أمية بن زيد إلى بني قريظة، إلى "بعاث" [٥]، إلى "حرة العريض" [٦]، فانتظروا صـاحبهم الحـارث هناك حتى وافاهم، فأتوا به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في آخر الليـل وهـو يصلي، فأخبروه بقتل ابن الأشرف؛ وكان ذلك في شهر ربيع الأول من السنة الثالثـة من الهجرة [٧].

وهكذا انتهت حياة أحد أعداء المسلمين الذين آذاهم وحرض عليهم كثيراً.

---

١) أن يقولوا في الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما لا يعتقدون، خدعة للعدو على سبيل جواز ذلك مع الأعداء في الحرب.
٢) بقيع الغرقد: مقبرة أهل المدينة المنورة.
٣) المغول: شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه. وقيل: هو حديدة دقيقة لها حد ماض وقفا، وقيل: هو سوط في جوفه سيف دقيق يشده الفاتك على وسطه؛ ليغتال الناس.
٤) الثنة من الإنسان: ما دون السرة، فوق العانة، أسفل البطن.
٥) بعاث: موضع في نواحي المدينة كانت فيه وقائع بين الأوس الخزرج في الجاهلية
٦) حرة العريض: حرة بالقرب من المدينة
٧) ابن هشام، ٣/ ٦٦، مغازي الواقدي ، ١/ ١٨١، تاريخ الطبري، ٢/ ٤٨٤.

١٤. المنافق الخبيث أبو عفك:

شيطان من شياطين المنافقين، ألد أعداء المسلمين هو أبو عفك -لعنه الله- هو أحد بني عمرو بن عوف، ثم من بني عبيدة ، وكان قد ظهر نفاقه حين قتل رسول الله ﷺ الحارث بن سويد بن صامت، فقال:

لقد عشت دهرا وما إن أرى — من الناس دارا ولا مجمعا
أبر عهود وأوفي لمن — يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة في جمعهم — يهد الجبال ولن يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم — حلال حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم — أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله ﷺ : "من لي بهذا الخبيث؟ " [1].

وكان أبو عفك شيخا كبيرا بلغ عشرين ومئة سنة، حين قدم النبي ﷺ المدينة، وكان يحرض على عداوة النبي ﷺ ، ولم يدخل في الإسلام، فلما خرج رسول الله ﷺ إلى "بدر"، ورجع وقد انتصر على المشركين، حسده أبو عفك وبغى، وقال في هجائه وهجاء المسلمين شعرا [2].

قال سالم: "علي نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه".

وأمهل سالم، وطلب له غرة، حتى كانت ليلة صائفة، فنام أبو عفك بالفناء في الصيف في بني عمرو بن عوف، فأقبل سالم، فوضع السيف على كبده، حتى خش في، فقرأ عليه القران، فكأنما رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال الفراش، وصاح أبو عفك، فسارع إليه ناس ممن هم على قوله، فأدخلوه منزله وقبروه، وقالوا: من قتله؟ والله لو نعلم من قتله لقتلناه به! [3].

---

١) سيرة ابن هشام ، ٤/ ٣١٣
٢) مغازي الواقدي ،١/ ١٧٤، ١٧٥.
٣) سيرة ابن هشام ، ٤/ ٣١٣

وكان قتل أبي عفك في شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة، من السنة الثانية الهجرية [1].

ويذكر التاريخ للصحابي البطل سالم رضي الله عنه أنه قتل أخته؛ لأنها قالت في النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يرضاه ولا يرضاه المسلمون الصادقون، ويذكر له أن أراح الناس من خبث أبي عفك، ويذكر التاريخ لسالم بن عمير العمري الأوسي الأنصاري أنه كان أحد البكائين الذين نزل في أمرهم قرآن يتلى.

١٥. الوليد بن المغيرة المخزومي شيخ أهل الكفر:

عن ابن عباس ضى: "أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعوف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، الله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته.قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴾ [سورة المدَّثر: الآية ١١:١٣] [2].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه ، يسأله عن القرآن ، فلما أخبره خرج على قريش، فقال: يا عجبا لا يقول ابن أبي كبشة [3]، فوالله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من المجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا، وقالوا: والله لئن صبأ

---

١) مغازي الواقدي ،١/ ١٧٤، ١٧٥، سيرة ابن هشام ، ٤/ ٣١٢، ٣١٣، ، طبقات ابن سعد ، ٢/ ٢٨

٢) صحيح: رواه الحاكم ، ٢/ ٥٠٧، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وأقره الذهبي، ورواه البيهقي في "دلائل النبوة" (١/ ٥٥٦)، وأورده ابن كثير في "البداية والنهاية" ،٣/ ٦٠ ، عن عكرمة مرسلا.

٣) يقصد النبي صلى الله عليه وسلم.

الوليد، لتصبأن قريش. فلما سمع بـذلك أبـو جهـل قـال: أنـا والله أكفـيكم شـأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومـك قـد جمعـوا لـك الصـدقة؟ قال:ألست أكثرهم مالاً وولداً؟ فقال له أبو جهل: يتحدثون أنك إنـما تـدخل عـلى ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه. قال الوليد: قد تحدث بهذا عشيرتي؟! فلا يم جابر بن قصي، لا أقرب أبا بكر، ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، ومـا قولـه إلا سـحر يـؤثر. فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [سـورة المـدَّثر: الآيـة ١١] هـو إلى قوله: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ [سورة المدَّثر: الآية ٢٨]

كان الوليد شيخ أهل الكفر وأشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ، وقد رويت عنه مواقف كثيرة في الكيد لرسـول الله ﷺ وإنـذار أصـحابه، والوقـوف في وجـه الدعوة، والصد عن سبيل الله.

قال محمد الطاهر بـن عاشـور: "كـان الوليـد بـن المغـيرة، يلقـب في قـريش بـ "الوحيد"، لتوحده وتفرده باجتماع مزايا له، لم تجتمع لغيره من طبقته؛ وهي كثرة الولد، وسعة المال، ومجده، ومجد أبيه من قبله، وكان مرجع قريش في أمورهم؛ لأنـه كان أسن من أبي جميل وأبي سفيان، فلما اشتهر بلقب " الوحيد"، كان هـذا الكـلام إيماء إلى الوليد بن المغيرة المشـتهربه، وجـاء هـذا الوصـف بعـد فعـل: "خلقـت"، ليصرف هذا الوصف عما كـان مـرادا بـه؛ أي أوجدتـه وحيـدا عـن المـال والبنـين والبسطة، فيغير عن غرض المدح والثناء الذي كانوا يخصونه به إلى غـرض الافتقـار إلى الله؛ الذي هو حال كل مخلوق.

عن ابن عباس: "كان مال الوليد بـين مكـة والطـائف مـن الإبـل، والغـنم، والعبيد، والجواري، والجنان، وكانت غلة ماله ألف دينار في السنة".

" ومهدت له تمهيدا"؛ تيسير أموره، ونفاذ كلمتـه في قومـه؛ بحيـث لا يعسرـ عليه مطلب، ولا يستعصي عليه أمر".

قال البقاعي في "نظم الدرر": "أكملت له من سعادة الدنيا ما أوجب التفرد في زمانه من أهل بيته وفخذه؛ بحيث كان يسمى: "الوحيد، وريحانة قريش"، فلم يرع هذه النعمة العظيمة، " ثم يطمع أن أزيد كلا "، لم يزد بعد ذلك شيئا؛ بل لم يزل في نقصان حتى هلك، ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١١٥] ليرتدع عن هذا الطمع، وليزدجر وليرتجع، فإنه حمق محض، وزخرف بحت، وغرور صرف.

" إنه كان لآياتنا عنيداً، أي: بالغ العناد على وجه لا يعد عناده لغيرها؛ بسبب مزيد قبحه عناداً.

والعناد، كما قال الملوي: من كبر في النفس، أو يبس في الطبع، أو شراسة في الخلق، أو خبل في العقل، وقد جمع ذلك كله لإبليس.

لما كان العناد غلظة في الطبع، أو شكاسة في الخلق، يوجب النكد والمشقة، جعل جزاؤه من جنسه، فقال: " سأرهقة صعوداً" ، أي: ألحقه بعنف وغلظة وقهو، إلحاقا يغشاه ويحيط به، وعيدا لا خلف فيه." صعوداً "، أي: شيئاً من الدواهي والأنكار؛ كأنه عقبة.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [سورة المدَّثر: الآية ٢٥]، حاد عن وجه الأفكار إلى أقفائها، سكت ألفاً، ونطق خلفاً.

قال: " سأصليه سقر"، أي: الدركة النارية؛ التي تفعل في الأدمغة من شدة حموها ما يجل عن الوصف، فأدخله إياها، وألوحه في شدائد حرها، وأذيب دماغه بها، وأسيل ذهنه وكل عصارته بشديد حرها. جزاء على تفكيره هذا، الذي قدره، وتخيله وصوره بإرادته في طبقات دماغه؛ ليحرق أكباد أولياء الله وأصفيائه" [1].

" سارهقه صعودا": التصعيد في الطريق: هو أشق السير وأشده، فإذا كان دفعا من غير إرادة من المصعد كان أكثر مشقة وأعظم إرهاقا، وهو في الوقت ذاته

١) "نظم الدرر" للبقاعي (٢١/ ٥١ ـ ٥٩).

تعبير عن الحقيقة؛ فالذي ينحرف عن طريق الإيمان السهل الميسر الورود، ينـدب في طريق وعر شاق مبتوت، ويقطع الحياة في قلق وشدة وكربة وضيق، كأنما يصـعد في السماء، أو يصعد في وعر صلد، لا ري فيه ولا زاد، ولا راحـة ولا أمـل في نهايـة الطريق!.

ثم يرسم تلك الصورة المبدعة المثيرة للسخرية، والرجل يكد ذهنـه، ويعصر أعصابه، ويقبض جبينه، وتكلح ملامحه وقسماته، كل ذلك ليجد عيبا يعيب به هـذا القرآن، وليجـد قـولا يقولـه فيـه، جـد مصـطنع، متكلـف يـوحي بالسـخرية منـه والاستهزاء، وبعد هذا المخاض كله؛ وهذا الحزق كله، لا يفتح عليه بشيء، إنما يدبر عن النور، ويستكبر عن الحق.

إنها لمحات تدع صاحبها سخرية الساخرين أبد الدهر، وتثبت صورته الرزية في صلب الوجود، تتملاها الأجيال بعد الأجيال.

فإذا انتهى عرض هذه اللمحات، عقـب عليهـا بالوعيـد المفـزع:" سأصـليه سقر". وزاد هذا الوعيد تهويلا بتجهيل سـقر، " ومـا أدراك مـا سـقر "، إنهـا شيء أعظم وأهول من الإدراك، ثم عقب على التجهيل بشيء من صفاتها أشد هولا:

﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾، فهي تكنس كنساً، وتبلع بلعاً، وتمحو محـواً، فـلا يقـف لهـا شيء، ولا يقف وراءها شيء، ولا يبقى وراءها شيء، ولا يفضل منها شيء" [1].

هذا دين رفيع، لا يعرض عنه إلا مطمـوس، ولا يعيبـه إلا منكـوس. وقـال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [سورة الزُّخرُف: الآية ٣١]

قال ابـن عبـاس: "يعنـي بـالعظيم: الوليـد بـن المغـيرة القـرشي، وحبيـب ابن عمرو بن عمير الثقفي.وبالقريتين: مكة والطائف".

وقال قتادة: "الرجل: الوليد بن المغيرة قال: لو كان ما يقول محمد حقا، أنزل علي هذا أو على ابن مسعود الثقفي" [1].

---

١) الظلال، ٦/ ٣٧٥٦

" أهم يقسمون رحمت ربك".

يقول -جل وعز-: أهؤلاء القائلون يا محمد، يقسمون رحمة ربك بين خلقه، فيجعلون كرامته لمن شاؤوا، وفضله عند من أرادوا، أم الله الذي يقسم ذلك، فيعطيه من أحب، ويحرمه من شاء؟.

قال: " ونحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا " يقول-عز وجل-: بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا، فنجعل من شئنا رسولا، ومن أردنا صديقا". ونتخذ من أردنا خليلا، كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات، فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة بأن جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا، وهذا ملكا وهذا مملوكا؛ {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا}، يعني بذلك العبيد والخدم سخرهم لهم.

قال قتادة: " ورحمت ربك خير مما يجمعون "، يعني: الجنة" [٢].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٢٤].

" الله أعلم حيث يجعل رسالته"، وقد جعلها حيث علم، واختار لها أكرم خلقه وأخلصهم، وجعل الرسل هم ذلك الرهط الكريم، حتى انتهت إلى محمد خير خلق الله وخاتم النبيين.

تتباهى بك العصور وتسمو ... بك علياء دونها علياء

أنت مصباح كل فضل فما ... يصدر إلا عن ضوئك الأضواء

" سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون"، والصغار هو: أشد الذل، يقابل الاستعلاء عند الأتباع، والاستكبار عن الحق، والتطاول إلى مقام رسل الله! والعذاب الشديد يقابل المكر الشديد، فالعداء للرسل،

---

١) هو عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف.

٢) تفسير الطبري ، ٢٠/ ٥٨٠ – ٥٨٦، مختصرا.

والأذى للمـؤمنين، وصـدق الله إذ يقـول: ﴿...كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٢٥].

والرجس هو: النجس الذي لا خير فيه، وهو الشيطان، كما قال ابن عباس:

لواء ضلال قاد إبليس أهله فخاس بهم إن الخبيث إلى غدر

ومن معاني الرجس: العذاب، ومن معانيه كذلك: الارتكاس، وكلاهما يلـون هـذا العذاب بمشهد الذي يرتكس في العذاب ويعود إليه ولا يفارقه.

١٦. عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة -لعنهم الله-:

عن جابر بن عبد الله قال: "اجتمعت قريش يوماً، فقـالوا: انظـروا أعلمكـم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي فـرق جماعتنـا، وشـتت أمرنـا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ماذا يـرد عليـه؟ فقـالوا: مـا نعلـم أحـدا غـير عتبـة بن ربيعة، فقالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة فقال: يا محمد، أنت خير أم عبـد الله؟ فسكت رسول الله ﷺ. قال: فإن كنت تزعم أن هـؤلاء خـير منـك، فقـد عبـدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى يسمع قولك، إنا والله ما رأينا سخلة [1] قط أشأم على قومه منك، فرقـت جماعتنـا، وشـتت أمرنـا، وعبـت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى لقد طار فيهم أن في قريش سـاحراً، وأن في قـريش كاهنا، والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتـى نتفانى .. أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لـك حتـى تكـون أغنـى قـريش رجلا، وإن كان إنما بك الباه[2] فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا، فقـال رسول الله ﷺ: "فرغت؟". قال: نعم! فقال رسـول الله ﷺ: "بسـم الله الـرحمن الـــرحيم ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٣﴾ إلى أن بلغ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾

---

١) سخلة: الولد المحبب إلى والديه.
٢) الباه: الرغبة في الزواج.

[سورة فُصِّلَت: الآية١: ١٣]. فقال عتبة: حسبك،ما عندك غير هذا؟ قال: "لا".فرجع إلى قريش ، فقالوا: ما وراءك؟ قال. ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه إلا كلمته. قالوا: فهل أجابك؟ فقال: نعم!. ثم قال: لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا:ويلك! يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال؟قال: لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة".

وقد رواه البيهقي وغيره عن الحاكم، وزاد: "وإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا ألويتنا لك، فكنت رأسا ما بقيت".

وعنده أنه لما قال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣﴾ [سورة فُصِّلَت: الآية١: ١٣] أمسك عقبة على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه، ولم يخرج إلى أهله واحتبس عنهم، فقال أبو جهل: "والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا صبأ إلى محمد وأعجبه طعامه، وما ذاك إلا من حاجة أصابته، انطلقوا بنا فأتوه.فقال أبو جهل: "والله يا عتبة ما جئنا إلا أنك صبوت إلى محمد وأعجبك أمره، فإن كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب وأقسم بالله لا يكلم محمدا أبدا.وقال: لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا، ولكني أتيته -وقص عليهم القصة-، فأجابني بشيء والله ما هو بسحر ولا بشعر ولا كهانة، قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٢﴾ حتى بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣﴾ [سورة فُصِّلَت: الآية١: ١٣] فأمسكت بفيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب" [1].

وكان عتبة وولده الوليد، وشيبة أخوه ألد أعداء النبي ﷺ، وقد دعا عليهم النبي ﷺ بأسمائهم لما آذوه، فكان لهم خزي الدنيا والآخرة، وكان ثلاثتهم أول من قتل مبارزة في غزوة "بدر"،وسحبوا إلى قليب بدر وأمهم الهاوية.وفي أول الموقعة

---

١) البداية والنهاية ، ٦/ ٦٠ - ٦١.

أراد عتبة بن ربيعة أن يظهر شجاعته، فبرز بين أخيه شيبة وابنه الوليد، فلما توسطوا بين الطرفين، دعوا إلى البراز، فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة، وهم عوف ومعوذ ابن الحارث -وأمهما عفراء-، والثالث عبد الله بن رواحة، فقالوا: من أنتم؟ قالوا:رهط من الأنصار. فقالوا:ما لنا بكم من حاجة.وفي رواية: فقالوا: أكفاء كرام، ولكن أخرجوا إلينا بني عمنا، ونادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا. فقال النبي ﷺ: "قم يا عبيدة بن الحارث، قم يا حمزة، وقم يا علي". فبارز عبيدة -وكان أسن القوم- عتبة، وبارز حمزة شيبة، وبارز علي الوليد ابن عتبة. فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله، وأما علي، فلم يمهل الوليد أن قتله، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين، وكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة، فذففا [1] عليه، واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه رضي الله عنهم [2].

١٧. أمية بن خلف لعنه الله:

نقل السهيلي في "الروض الأنف" أن عدو الله أمية بن خلف بصق في وجه النبي ﷺ [3]، وكان هذا اللعين الذي سبقت له الشقوة من ربه أحد النفر الذين دعا عليهم النبي ﷺ لما وضعوا فرث الجزور ودمها وسلاها بين كتفي النبي ﷺ وهو ساجد، وضحكوا حتى مال بعضهم على بعض من الضحك.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حدث عن سعد بن معاذ أنه كان صديقا لأمية بن خلف، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد بن معاذ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة، انطلق سعد بن معاذ معتمرا، فنزل على أمية بمكة، فقال لأمية: انظر لي ساعة خلوة؛ لعلي أطوف بالبيت، فخرج به قريبا من نصف النهار، فلقيهما أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، من هذا معك؟ قال:

---

١) ذفف على الجريح: أجهز عليه.
٢) البداية والنهاية، ٥/ ٩٥، ٩٦
٣) الروض الأنف ، ٢/ ٤٨

هذا سعد. قال له أبو جهل: ألا أراك تطوف بمكة آمنا، وقد آويتم الصباة [1]، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم! أما والله، لولا أنك مع أبي صفوان ما رجعت إلى أهلك سالما. فقال له سعد -ورفع صوته عليه-: أما والله، لئن منعتني هذا، لأمنعنك ما هو أشد عليك منه؛ طريقك على المدينة. فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد - على أبي الحكم، فإنه سيد أهل الوادي، قال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنهم قاتلوك". قال:بمكة؟ قال: لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعا شديدا، فلما رجع إلى أهله قال: يا أم صفوان، ألم تري ما قال سعد؟ قالت: وما قال لك؟قال: زعم أن محمدا أخبرهم أنهم قاتلي، فقالت له: بمكة؟ قال: لا أدري.فقال أمية: والله لا أخرج من مكة، فلما كان يوم بدر، استنفر أبو جهل الناس، فقال: أدركوا عيركم.فكره أمية أن يخرج، فأتاه أبو جهل، فقال: يا أبا صفوان، إنك متى يراك الناس قد تخلفت وأنت سيد أهل الوادي، تخلفوا معك. فلم يزل به أبو جهل حتى قال. أما إذ غلبتني، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة، ثم قال أمية: يا أم صفوان، جهزيني. فقالت له: يا أبا صفوان، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي؟ قال: لا، وما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا، فلما خرج أمية، أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره، فلم يزل كذلك حتى قتله الله ببدر"[2].

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: "كاتبت أمية بن خلف كتابا بأن يحفظني في صاغيتي [3] بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت "الرحمن" قال: لا أعرف "الرحمن"، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية. فكاتبته "عبد عمرو"، فلما كان يوم بدر، خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف؟! لا نجوت إن نجا

١) الصباة: بضم المهملة وتخفيف الموحدة، جمع صابئ، وهو الذي ينتقل من دين إلى دين.
٢) رواه البخاري (٣٩٥٠)، ورواه أحمد في "المسند" (١/ ٤٠٠).
٣) الصاغية: خاصة الرجل، مأخوذ من صغى إليه إذا مال. قال الأصمعي: صاغية الرجل: كل من يميل إليه، ويطلق على الأهل والمال.

أمية، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا، فلما خشيت أن يلحقونا، خلفت لهم ابنه لأشغلهم، فقتلوه، ثم أتوا حتى تبعونا، وكان رجلاً ثقيلاً، فلما أدركونا قلت له: ابرك.فبرك، فألقيت عليه نفسي لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه. فكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه" [1].

١٨. العاص بن وائل – لعنه الله:

رأس من رؤوس الكفر، المستهزئين برسول الله ﷺ والقرآن: عن خباب رضي الله عنه قال: "كنت قينا في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا أكفر حتى يميتك الله، ثم تبعث. قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [سورة مريم: الآية ٧٨][2].

وعن سعبد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: "إن العاص بن وائل أخذ عظما من البطحاء ففته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ أيحيي الله هذا بعد ما رم؟!، فقال رسول الله ﷺ: "نعم يميتك الله، ثم يحييك، ثم يدخلك جهنم". قال: ونزلت الآيات من آخر "يس"[3].

خرج هذا اللعين العاص على حمار له يريد الطائف، فربض به على شبرقة [4]، فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته [5].

---

١) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٢١، ٣٥٩، ١٠/ ٤٤، ٤٥، ٤٦)، ومسلم (١٧/ ١٣٨)، والترمذي (٤/ ١٤٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ١١١)، والطيالسي (٢/ ٢١)، وابن سعد (٣/ ١١٦)، وابن جرير (١٦/ ١٢١).

٣) صحيح: أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وذكره مقبل الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (ص ١٢٩).

٤) نبات شوكي.

٥) دلائل النبوة ، ٢ / ٣١٧ – ٣١٨ ، البداية والنهاية ، ١٣١/٣

١٩.الأخنس بن شريق:

كان من قصته هو وأبي جهل وأبي سفيان واستماعهم لقراءة النبي ﷺ ليلا ثلاثة أيام، وعلمه بصدق النبي ﷺ ، ثم بعد هذا إصراره على الكفر حتى أنزل الله فيه قرآنا يتلى، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦ ﴾ [سورة القلم: الآية ١٠: ١٦]

قال ابن جرير االطبري: " ولا تطع كل حلاف مهين ": ولا تطع يا محمد كل ذي إكثار للحلف بالباطل،" مهين " ، وهو الضعيف. قال ابن عباس ﷺ : والمهين: الكذاب.إذا وصف بالمهانة، فإنه إنما وصف بها لمهانة نفسه عليه، وكذلك صفة الكذوب، إنما يكذب لمهانة نفسه.

{ **هَمَّازٍ** }: مغتاب للناس يأكل لحومهم.

{**مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ**}: مشاء بحديث الناس بعضهم في بعض، ينقل حديث بعضهم إلى بعض، كما قال قتادة.

{ **مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ** }: بخيل بالمال، ضنين به عن الحقوق.

{**مُعْتَدٍ** }: معتد على الناس، {أثيم} أثيم بربه .. كما قال قتادة.

{ **عُتُلٍّ** }: العتل: الجافي الشديد في كفره.

قال ابن عباس: "العتل: الشديد المنافق".

وقال مجاهد: "شديد الأشر"[١].

﴿ **عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ** ﴾ .**قال الحسن وقتادة**: "هو الفاحش اللئيم الضريبة".

وقال عكرمة: "الكافر اللئيم".

{**بَعْدَ ذَٰلِكَ**}: معنى "بعد": مع.

---

١) الأشر: المرح والبطر.

{زَنِيمٍ }: والزنيم في كلام العرب: الملصق بالقوم وليس منهم ..

زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغي الأم ذو حسب لئيم

قال ابن عباس: "الزنيم: الدعي"، وهو قول عكرمة.

يقال: "هو الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة".

وقال سعيد بن المسيب: "الملصق بالقوم ليس منهم".

و**قال سعيد بن جبير**: "الزنيم: الذي يعرف بالشر، كما تعرف الشاة بزنمتها، الملصق".

وقال ابن عباس: "المريب الذي يعرف بالشر".

وقال أيضا: "كانت له زنمة في عنقه يعرف بها".

وقال شهر بن حوشب: "هو الجلف الجافي، الأكول الشروب من الحرام".

وقال عكرمة: "الذي يعرف باللؤم، كما تعرف الشاة بزنمتها".

وهذه خاتمة الصفات الذميمة الكريهة المتجمعة في عدو من أعداء الإسلام شديد الكيد لرسول الله ﷺ كثير الصد عن سبيل الله، والوقوف في وجه الدعوة.

وما يعادى الإسلام، ويصر على عدواته إلا أناس من هذا الطراز اللئيم الذميم. وإطلاق هذه الصفات تدع هذا الكافر مهينا في قومه وهو المختال الفخور.

﴿ **أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ** ﴾ تقريع لهذا الحلاف المهين. ألئن كان هذا الحلاف المهين ذا مال وبنين " إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين " ؟!.

" إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين " إذا تقرأ عليه آيات كتابنا قال: هذا مما كتبه الأولون، استهزاء به، وإنكارا منه أن يكون ذلك من عند الله. " سنسمه على الخرطوم ": قال بعضهم: "سنخطمه بالسيف، فنجعل ذلك علامة باقية وسمة ثابتة فيه ما عاش".

قال ابن عباس رضي الله عنه : "قاتل يوم بدر، فخطم بالسيف في القتال".

وقال آخرون: "سنشينه شيناً باقياً".

قال قتادة: "شين لا يفارقه آخر ما عليه".

قال ابن جرير: "وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك عندي: قول من قال: معنى ذلك: سنبين أمره بيانا واضحاً، فلا يخفى عليهم، كما لا تخفى السمة على الخرطوم، وقد يحتمل أيضا أن يكون خطم بالسيف، فجمع له مع بيان عيوبه للناس الخطم بالسيف" [1].

و**قال الفراء:** "سنسمه سمة أهل النار. أي: سنسود وجهه" [2].يجيء التهديد من الجبار القهار، يلمس في نفسه موضع الاختيال والفخر بالمال والبنين؛ كما لمس وصفه من قبل موضع الاختيال بمكانته ونسبه، ويسمع وعد الله القاطع {**سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ**} . والتهديد بوسمه على الخرطوم يحوي نوعين من الإذلال والتحقير.

الأول: الوسم، كما يوسم العبد.

والثاني: جعل أنفه خرطوما، كخرطوم الخنزير.

إنها القاصمة التي يستأهلها عدو الإسلام، وعدو الرسول الكريم صاحب الخلق العظيم".

قال الفخر الرازي: {**سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ**} إن في الآية احتمالا آخر عندي، وهو أن ذلك الكافر إنما بالغ في عداوة الرسول، وفي الطعن في الدين الحق بسبب الأنفة والحمية، فلما كان منشأ هذا الإنكار هو الأنفة والحمية، كان منشأ عذاب الآخرة هو هذه الأنفة والحمية، فعبر عن هذا الاختصاص بقوله: " سنسمه على الخرطوم "[3].

قال البقاعي: "لما كان هذا المذكور قد أغرق في الشر، فتوقع السامع جزاءه، قال معلما أنه يجعل له من الخزي والفضائح، ما يصير به شهرة بين الخلائق في الدنيا

---

١) "تفسير الطبري ، ٢٣/ ١٥٧ – ١٧١ ، مختصرا.

٢) معاني القرآن ، للفراء ، ٣/ ١٧٤

٣) مفاتيح الغيب ، للفخر الرازي ،١٥/ ٦٥٤

والآخرة: {سَنَسِمُهُۥ}، أي: نجعل ما يلحق به من العار في الدارين، كالوسـم الـذي لا ينمحي أثره؛ تقول العرب: "وسمه ميسم سوء"، ولما كان الوسـم منكئـا، وكـان جعله في موجع لا يستر أنكأ، وكان الوجه أشرف ما في الإنسان، وكان أظهر ما فيه، وأكرمه الأنف، ولذلك جعلوه مكان العز والحمية، واشتقوا منه الأنفة.

{عَلَى ٱلْخُرْطُومِ}، أي: الأنف الطويـل جميعـه، ومـا قاربـه مـن الحنكـين، وسـما مستعليا عليه بوضوح جدا؛ ليكون هتكه بين الناس، وفضيحة لقومه، وذلاً وعـاراً، وكذا كان لعمري له بهذا الـذكر الشـنيع، والـذنب القبـيح مـن الكفـر، ومـا معـه، وسيكون له يوم الجمع الأعظم ما هو أشنع من هذا، على أنـه حقـق في الـدنيا هـذا الخطم حسا، بأنه ضرب يوم بدر ضربة خطمت أنفه"[1].

وهكذا جمع الله له ذل الدنيا ومهانتها وذل الآخـرة. ولعـذاب الآخـرة أشـد وأبقى.

٢٠. الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث ابن الطلاطلة -لعنهم الله-:

قـال تعـالى: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [سورة الحِجر: الآية٩٤: ٩٥]

قال القرطبي: "اصدع بما تؤمر ولا تخف غير الله؛ فإن الله كافيك من آذاك كما كفاك المستهزئين؛ وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة، وهم الوليد بن المغـيرة -وهـو رأسهم-، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب بن أسد -أبو زمعـة-، والأسـود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة، أهلكهـم الله جميعـا قبـل يـوم بـدر في يـوم واحد، لاستهزائهم برسول الله ﷺ وسبب هلاكهم -فيما ذكـر ابـن إسـحاق-: أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله ﷺ، فمـر

---

١) نظم الدرر ، للبقاعي ،٢٠/ ٣٠٥ ـ ٣٥٦

به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضـراء، فعمي ووجعت عينه، فجعـل يضرب برأسه الجدار.

ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستقى بطنه فمات حبنا [١].ومـر به الحارث بن الطلاطلة، فأشار إلى رأسه فامتخط [٢] قيحا فقتله.

وقد ذكر في سبب موتهم اختلاف قريب من هذا.

وقيل: إنهم المراد بقوله تعـالى: ﴿.. فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ ﴾ [سـورة النحل: الآية ٢٦]، شبه ما أصابهم في موتهم بالسقف الواقع عليهم" [٣].

٢١. من خادع النبي - ﷺ -:

عن أنس رضي الله عنه قال: "كان رجل نصـراني، فأسلم وقرأ البقـرة وآل عمـران، فكان يكتب للنبي ﷺ فعاد نصرانيا، فكان يقول: ما يدري محمد إلا ما كتبـت لـه، فأماته الله، فدفنوه، فأصبح ولقد لفظته الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصـحابه، لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوه. فحفروا له فأعمقوا، فأصـبح وقـد لفظتـه الأرض، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه، نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم فـألقوه خارج القبر. فحفروا له وأعمقوا له في الأرض مـا اسـتطاعوا، فأصـبح قـد لفظتـه الأرض، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه" [٤].

٢٢. الشيطان خالد بن سفيان الهذلي -لعنه الله-:

هو خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي، كان عدوا لله ولرسوله ﷺ، وكان يجمـع الجموع لحرب النبي ﷺ فأخذه الله أخذ عزيـر مقتـدر عـلى يـد بطـل مـن أبطـال الخزرج، وهو عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري.

---

١) "يقال: حبن -بالكسر- حبنا وحبن للمفعول، عظم بطنه بالماء الأصفر، فهو أحبن، والمرأة حبناء"
٢) المخط: السيلان والخروج.
٣) تفسير القرطبي ، ٥/ ٣٦٧٨ - ٣٦٧٩.
٤) رواه البخاري (٦/ ٦٢٤)، ومسلم.

قال عبد الله: "دعاني رسول الله ﷺ فقال: "إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نبيح الهذلي يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بنخلة [1] أو بعرنة، فأته فاقتله". قلت: يا رسول الله، انعته لي حتى أعرفه، فقال: "إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة" [2].

فخرجت متوشحاً سيفي، حتى دفعت إليه وهو في ظعن [3] يرتاد [4] لهن منزلاً [5]، وحيث كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت ما قال لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة، فصليت وأنا أمشي نحوه أومئ برأسي، فلما انتهيت إليه قال: من الرجل؟

قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لذلك، قال: أجل [6] إني لفي ذلك.

فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف، فقتلته، ثم خرجت وتركت ظعائنه منكبات عليه.

فلما قدمت على رسول ﷺ فرآني قال: "أفلح الوجه"، قلت: قد قتلته يا رسول الله [7]، ووضعت رأسه بين يديه، وأخبرته خبري" [8].وهكذا استطاع عبد الله وحده، ببطولته الفذة، وإقدامه النادر، أن يقضي على فتنة الهذلي التي كان يعدها ويستعد لها، وينهي خططه في حرب الإسلام والمسلمين.[9]

---

١) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة.
٢) القشعريرة -بزنة الطمأنينة-: رعدة وارتعاش، كارتعاش المحموم.
٣) الظعن: جمع ظعينة، وهي: المرأة.
٤) يرتاد: يطلب.
٥) المنزل: موضع النزول.
٦) أجل: كلمة جواب، مثل: نعم.
٧) طبقات ابن سعد ،٢/ ٥٠، ٥١، مغازي الواقدي ،٢/ ٥٣١ – ٥٣٣، سيرة ابن هشام، ٢٩٣/ ٤، ٢٩٤
٨) مغازي الواقدي ،٢/ ٥٣٣
٩) وا محمداه إن شانئك هو الأبتر ، ١/ ٣٥١

٢٣.عدوة اللّه ورسوله بوادي القرى، أم قرفة -لعنها اللّه:

كانت العرب تقول: "لو كانت أعز من أم قرفة"؛ لأنها كانت يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو محرم. واسم أم قرفة: فاطمة بنت ربيعة بن بدر الفزارية بوادي القرى ، وهي سيدة قومها، ضرب بها المثل في المنعة: "أمنع من أم قرفة". جهزت -لعنها الله- ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها، وقالت لهم:"اغزوا المدينة واقتلوا محمدا". فأرسل النبي ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه على رأس سرية إلى أم قرفة في شهر رمضان في السنة السادسة الهجرية إلى وادي القرى، وخرج المسلمون من المدينة يكمنون النهار ويسيرون الليل، وقصدوا فزارة في الليل حتى صبحوهم، ثم أحاط زيد ومن معه بفزارة في بيوتهم، وكبر زيد وكبر الصحابة، وقتل قيس بن المحسر أم قرفه، وعاد زيد إلى المدينة، فقرع باب النبي ﷺ فخرج إليه مسرعا واعتنقه وقبله، فأخبره زيد بانتصاره وغنائمه.

وأما جارية بنت أم قرفة، فوهبها النبي ﷺ لخاله حزن بن أبي وهب، فولدت له امرأة ليس له منها ولد غيرها [1].

٢٤. عدوة رسول اللّه ﷺ: عصماء بنت مروان- لعنها اللّه:

كانت عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد، وكانت عند يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تعيب الإسلام وتؤذي النبي ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: "ألاَ آخذ لي من ابنة مروان؟ ".

وكان ذلك في السنة الثانية الهجرية-، فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدي الخطمي الأوسي وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها، فقتلها.

---

١) طبقات ابن سعد ، ٢/ ٩٠، ٩١ ، مغازي الواقدي ، ٢/ ٥٦٤، ٥٦٥

وأصبح عمير مع رسول الله ﷺ، فقال: "يا رسول الله! إني قد قتلتها"، فقال: "نصرت الله ورسوله يا عمير"، فقال: "هل علي من شأنها يا رسول الله؟ ". فقال: "لا ينتطح فيها عنزان"(١).

ورجع عمير إلى قومه، وبنو خطمة يومئذ موجهم(٢) كثير في شأن بنت مروان، ولها يومئذ بنون -خمسة رجال-، فلما جاءهم عمير من عند رسول الله ﷺ قال: "يا بني خطمة! أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جيعا ثم لا تنظرون". فذلك اليوم أول ما عز الإسلام في دار بني خطمة، وكان يستخفي بإسلامه فيهم من أسلم، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بني خطمة، لما رأوه من عز الإسلام(٣).

ويبدو أن سكوت أبناء عصماء وإخوتها عن أخذ الثأر من عمير؛ لأن عميرا كان من أشرافهم، ولأن الإسلام فشا فيهم، ولأنهم خافوا المسلمين الذين أصبحوا قوة ضاربة بعد انتصارهم في غزوة بدر(٤).

٢٥. هذا لا توبة له!

ظهر في زمن الحاكم رجلٌ سمّى نفسه هادي المستجيبين، وكانوا يدعو إلى عبادة الحاكم، وحُكيَ عنه أنّه سبَ النبيّ ﷺ ، وبصق على المصحف، فلما ورد مكة شكاه أهلها إلى أميرها، فدافع عنه، واعتذر بتوبته، فقالوا: مثل هذا لا توبة له! فأبى، فاجتمع الناس عند الكعبة وضجوا إلى الله، فأرسل الله ريحًا سوداء حتى أظلمت الدنيا، ثم تجلت الظلمة وصار على الكعبة فوق استارها كهيئة الترس الأبيض له نور كنور الشمس، فلم يزل كذلك ترى ليلاً ونهارًا، فلما رأى أمير مكة ذلك أمر بـ"هادي المستجيبين" فضرب عنقه وصلبَه(٥).

---

١) يريد أن شأن قتلها هين لا يكون فيها طلب ثأر.

٢) موجهم كثير: أراد به اختلاط كلامهم.

٣) سيرة ابن هشام ، ٤/ ٣١٣ – ٣١٥ ، طبقات ابن سعد، ٢/ ٢٧، ٢٨، مغازي الواقدي ،١/ ١٧٢ - ١٧٤

٥) عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي، أبو محمد الكتاني الدمشقي ، ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق :د. عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ، ص١٤٠

٢٦. وجاء كلبٌ فولغ في دمه!!

وذكر القاضي عياض قصة عجيبة لساخر بالنبي ﷺ! وذلك أن فقهاء القيروان وأصحابَ سحنون أفتوا بقتل إبراهيم الفزاري وكان شاعرًا متفننًا في كثير من العلوم، وكان يستهزئ بالله وأنبيائه ونبينا محمد ﷺ، فأمر القاضي حيى بن عمر بقتله وصلبه، فطُعن بالسكين وصُلب مُنكسًا، وحكى بعضُ المؤرخين أنه لما رُفعت خشبته، وزالت عنها الأيدي استدارت وحوَّلته عن القبلة فكان آيةً للجميع، وكبر الناسُ، وجاء كلبٌ فولغ في دمه! [1].

٢٧. يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار:

وحكى الشيخ العلامة أحمد شاكر أن خطيبًا فصيحًا مفوهًا أراد أن يثني على أحد كبار المسؤولين لأنه احتفى بطه حسين فلم يجد إلا التعريض برسول الله ﷺ فقال في خطبته: جاءه الأعمى فما عبس وما تولى!

قال الشيخ أحمدُ: ولكن الله لم يدع لهذا المجرم جرمه في الدنيا، قبل أن يجزيه جزاءه في الأخرى، فأقسم بالله لقد رأيته بعيني رأسي بعد بضع سنين، وبعد أن كان عاليًا منتفخًا، مستعزًا بمن لاذ بهم من العظماء والكبراء ـ رأيته مهينًا ذليلاً، خادمًا على باب مسجد من مساجد القاهرة، يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار!!

٢٨. وللكافرين أمثالها :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول، أهل الفقه والخبرة، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة

---

١) الشفا ، ٢١٨/٢

الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمة عظيمة، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه ، وهكذا أهل الغرب – يعني المغرب– حالهم مع النصارى كذلك، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بأيدي عباده المؤمنين" [1].

٢٩. عاقبة الصليبي الشهير أرناط أمير الكرك

يعتبر الأمير الصليبي "رينالد دي شاتيون" المشهور في المراجع العربية باسم "أرناط"، من أشد الصليبيين عداوة وغدراً وحقداً على الإسلام والمسلمين، قضى حياته كلها في محاربة المسلمين تديناً منه، ووقع في الأسر عدة مرات، ويفتدي نفسه ليخرج لمحاربة المسلمين مرة أخرى، وكان أميراً على حصن الكرك وكان دائم الإغارة على قوافل المسلمين، وذات مرة هاجم أرناط قافلة حجاج مسلمين فقتلهم وسرق متاعهم وأثناء اقترافه هذه الجريمة الشنيعة أخذ في سب النبي ﷺ ويقول للمسلمين "أين محمدكم لينقذكم؟".

وقد فكر هذا الخنزير الأحمق في الهجوم على مكة والمدينة النبوية وأعد أسطولاً لذلك وقام بغارات مجرمة على قوافل الحجيج، فأقسم "صلاح الدين" على أن يقتل هذا الكلب بيده إذا ظفر بيده، وجاء يوم الوفاء يوم "حطين" العظيم سنة ٥٨٣ هجرية، حيث وقع هذا الكلب في الأسر، وقال صلاح الدين بعزة المؤمن المدافع عن نبيه وأمته:أنا أنوب عن الأمة في الانتصار لرسولها ثم ضرب عنق أرناط بسيفه فأطارها وأطار معها أفئدة باقي الأسرى الصليبيين .

---

١) الصارم المسلول، ص ١١٦-١١٧

٣٠. النجاسة تخرج من فمه عند موته:

هذا الدجال الكاذب المحتال الذي ادعى النبوة غلام أحمد ميرزا القادياني، العميل الإنجليزي الذي تم تجنيده لإفساد عقائد المسلمين، كان هذا الدجال يفضل نفسه على النبي ﷺ ويقول عن نفسه: له خسف القمر المنير وإن لي غساً القمران المشرقان أتنكر ويرفع نفسه فوق النبي ﷺ ويقول إنه أكمل وأعظم من الرسول صلى ﷺ، فهلك هذا الدجال بالطاعون وجاءه أجله المقدور في بيت النجاسات وهو يقضي حاجته، وكانت النجاسة تخرج من فيه قبل موته وذلك في ٢٦ مايو ١٩٠٨ ميلادية.

٣١. رجل يلد مثل المرأة !!

روى ابن كثير في تاريخه وابن خلكان في تراجمه في أحداث سنة ٦٦٥ هجرية، أن رجلاً من أهل بصرى اسمه "أبو سلامة" كان فيه مجون واستهتار واستهزاء بكل شيء، فذكر عنده السواك وما فيه من الفضيلة فقال: "والله لا أستاك إلا في المخرج يعنى دبره، ثم أخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ثم أخرجه، فمكث بعده تسعة أشهر وهو يشكو ألم البطن ثم وضع ولداً على صفة الجرذان له أربع قوائم ورأسه كرأس السمكة وله أربعة أنياب بارزة وذنب طويل، ولما وضعه صاح هذا الحيوان ثلاث صيحات فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأس الحيوان فمات، وعاش ذلك الرجل بعد وضعه هذا المسخ يومين ومات في الثالث وهو يقول "هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي"[1]

---

١) البداية والنهاية، ٢٨٩/١٣

الخاتمة:

ظل حب النبي ﷺ يتوارثه المسلمون جيلاً بعد جيل ، ما أنطفأ أبداً ولن ينطفئ ، وسيظل رسول الله ﷺ وسنته وسيرته كلمة السر التي تجمع شعث وشتات المسلمين ، فلم يجتمع المسلمون إلا عليه وما نُصرت الأمة إلا بسنته وتطبيق شريعة الإسلام ، وكما قال الجنيد رحمه الله : الطريق إلي الله تعالي كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفي أثر رسول الله ﷺ واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه ﷺ .

وقد أدرك الصحابة والتابعون هذه القيمة فرأينا منهم حباً وانقياداً وطاعة لله ورسوله ﷺ ورأينا منهم مشاهد الحب والتفاني وروائع الفداء والعطاء التي جاوزت من مثاليتها حد الأساطير.فيا أخي : أمامك الفرصة فلا تدع الركب يفوتك ويضيع هذا الأجر العظيم تقدم وأحمل راية الحب وارفع لواء الطاعة وناد بأعلى صوتك : إني أحب رسول الله محمداً ﷺ أسرع واحجز مقعدك من الآن ، فمكانك شاغراً ينتظرك فلا تدعه لغيرك ، وقل يا رسول الله أنت زعيمنا وقدوتنا وإمامنا.

وأخيراً. الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. الحمدلله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفِّقنا لأداء حقه، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده.

وأود أن أعتذر لكل من نقلت عنه رأياً أو حدثاً تاريخياً أو موقف أو تعليق ونسيت أن أنسبه له و أذكر فضله وسبقه، فليغفر لي خطأي وذللي، والله يجزيه خير الجزاء ، وأود أن أذكر في ختام هذا العمل أن ما وجد القارئ الكريم فيه من صواب فهو محض فضل الله فله الحمد والمنة، وما وجد من خطأ فإن كاتبه لم يألُ

جهد الإصابة واستغفر الله تعالى وأتوب إليه، ويأبى الله تعالي إلا أن يتفـرد بـالكمال كما قيل :

والنّقْصُ في أصلِ الطبيعةِ كـامنٌ فَبَنُو الطبيعةِ نقْصُهم لا يُجْحَـدُ

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً ، ولكن مـن عُـدَّت غلطاتُـه أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه ، فيا أخي الكريم ، كن كما قال ابن القيم رحمه الله: ": اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضـا ، ورُدَّ الباطـل عـلى مـن قالـه وإن كـان حبيبا.فلا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل . فلو كـان كــل مــن أخطــأ أو غلــط تــرك جملــة، وأهــدرت محاســنه، لفســدت العلــوم والصناعات.فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب مـوافقتهم فـيما قـالوه مـن الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له مـن العلـم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب"[1].

والحمـدلله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك عـلى خـاتم المرسـلين محمـدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع

١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٧٨.

رقم الصفحة	الموضوع
٣	**المقدمة**
٧	**لماذا يحاربون الإسلام ويستهزئون بالنبي ﷺ**
٨	١. التربية الدينية التي يربي عليها النشئ الصغير في الغرب
٩	٢. الحقد علي الإسلام ونبيه محمد ﷺ
١١	٣. الصراع بين الإسلام واليهودية والنصرانية الغربية
١٤	٤. كتب المستشرقين التي التي تربى عليها الغرب منذ نعومة أظفاره
١٤	٥. الطبيعة النفسية التي جبل عليها الغرب من البغي والطغيان والتجبر
١٥	٦. ضعف المسلمين وتشرذمهم في الأرض ، والضعيف لا يلتفت إليه أحد
١٧	٧. لأن الإسلام هو الجدار الصلب الذي يصعب عليهم اختراقه
١٨	٨. ولأنهم يرون في الإسلام العدو الوحيد
٢٣	**لماذا نغضب للحبيب محمد ﷺ وندافع عنه؟**
٢٤	١. لأن من حقوق الحبيب محمد علي أمته الدفاع عنه ونصرته
٢٦	٢. لأن ترك النصرة لرسول الله ﷺ وسلم ودينه والتخاذل عنها تمكين لأعداء الإسلام من الطعن فيه وتشويهه وإضعاف شوكته وانتهاك حرماته وإذهاب هيبة النبي ﷺ من النفوس

الموضوع	رقم الصفحة
٣. من حقوق الحبيب محمد ﷺ علي أمته تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره والأدب معه وإلزام غيرها من الأمم بذلك	٢٧
٤. لأن من يتخلف عن نصرة النبي ﷺ والدفاع عنه يكون من الفاسقين	٢٩
٥. لأن الإساءة لصاحب الشريعة إساءة للشريعة ذاتها والذبّ عن الشريعة واجب على كل مسلم بما يستطيع	٣٠
٦. الكلاب تغضب لرسول الله ﷺ	٣١
٧. من استُغضب فلم يغضب فهو حمار	٣٢
٨. أرفع عمل ووسام أن ندافع عن رسولنا ﷺ	٣٣
(إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) عاقبة المستهزئين	٣٥
١. أبو جهل – عليه لعنة الله – فرعون هذه الأمة	٤٠
٢. بنو النضير – عليهم لعنة الله – أرادوا قتل النبي ﷺ	٤٤
٣. أبو لهب وامرأته حماله الحطب	٤٦
– نهاية أبو لهب	٤٩
– مَن للأحول غير أم قبيح ، أم جميل العوراء !؟	٤٩
٤. عقبة بن أبي معيط	٥١
٥. أبي بن خلف	٥٤
٦. عبد الله بن قُمئَة – أقمأه الله	٥٥
٧. كسري ملك الفرس	٥٦
٨. رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول	٥٩

الموضوع	رقم الصفحة
٩. القرطاء البكريون	٦٤
١٠. سلام ابن أبي الحقيق	٦٥
١١. شيطان اليهود حيي بن أخطب -لعنه الله	٦٨
١٢. أَسَيرُ زَارِمٍ ملك خيبر	٧٩
١٣. شيطان يهود: كعب بن الأشرف -لعنه الله-، عدو الله ورسوله	٨٠
١٤. المنافق الخبيث أبو عفك	٨٢
١٥. الوليد بن المغيرة المخزومي شيخ أهل الكفر	٨٣
١٦. عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة -لعنهم الله	٨٨
١٧. أمية بن خلف لعنه الله	٩٠
١٨. العاص بن وائل – لعنه الله	٩٢
١٩. الأخنس بن شريق	٩٣
٢٠. الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، والأسود بن عبد يغوث، والحارث ابن الطلاطلة -لعنهم الله	٩٦
٢١. خادع النبي ﷺ	٩٧
٢٢. الشيطان خالد بن سفيان الهذلي -لعنه الله	٩٨
٢٣. عدوة الله ورسوله بوادي القرى، أم قرفة -لعنها الله	٩٩
٢٤. عدوة رسول الله ﷺ: عصماء بنت مروان- لعنها الله	٩٩
٢٥. هذا لا توبة له!	١٠٠
٢٦. وجاء كلبٌ فولغ في دمه!!	١٠١

الموضوع	رقم الصفحة
٢٧. يتلقى نعال المصلين يحفظها في ذلة وصغار!!	١٠١
٢٨. وللكافرين أمثالها	١٠٢
٢٩. عاقبة الصليبى الشهير أرناط أمير الكرك	١٠٢
٣٠. النجاسة تخرج من فمه عند موته	١٠٣
٣١. رجل يلد مثل المرأة !!	١٠٣
الخاتمة	١٠٤
الفهرس	١٠٦